يا ليت قومي يعلمون



أبوصالح الأنصاري

أحد العائدين من غوانتنامو



مركز اليقين الإعلامي

يا ليت قومي يعلمون

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله , نحمده , ونستعينه , ونستغفره , ونعوذ بالله من شرور أنفسنا , ومن سيئات أعمالنا , من يهده الله فلا مضل له , ومن يضلل فلا هادي له , وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له , أنجز وعده , ونصر عبده , وهزم الأحزاب وحده , وأشهد أن محمدا عبده ورسوله, وصفيه , وخليله , بلغ الرسالة , وأدى الأمانة , ونصح الأمة , وجاهد في الله حق جهاده حتى أتاه اليقين من ربه أما بعد:

بعد خروجي من معتقل كوبا جمعني الله ببعض الإخوة الطيبين ممن عندهم حرقة وغيرة على دين الله تبارك وتعالى. وكنت أحدثهم عن بعض عجائب المعتقل بقصد إعطائهم خبرة ولو بسيطة عما يجري هناك. فكان يشتد عجبهم مما أقصه عليهم وما ذاك العجب بسبب أن الخبر الذي قصصته عليهم فيه غرابة. كلا ولكنّ ذاك العجب بسبب أن خبرة الإخوة في مثل هذه الأمور قليلة , فهم لم يبتلوا في سبيل الله , فلم يعرفوا ما يحصل بداخل المعتقلات , لذلك كانوا يستغربون مما يسمعون ويستعظمونه .

ثم يسر الله لأحد الإخوة المفرج عنهم من غوانتنامو فبدأ بكتابة دروسا وعبرا مستمدة من تجربته في المعتقل وأظن أن قصده من تلك الكتابة هو نفس القصد الذي كنت من أجله أحدث إخواني , وقد كنت أقرأ وأتابع ما يكتب من أحد المنتديات التي كانت تنقل وتقتبس ما يكتبه نقلا عن موقع آخر كان يكتب فيه. وذلك لأن الموقع الرئيسي الذي يكتب فيه محجوب في البلد الذي أسكنه. ومن خلال متابعتي لتلك العبر التي يكتبها ذلك الأخ لا حظت أن فيها قصور كبير جدا ولكني التمست له عذرا على ذلك القصور الكبير. فالمعتقل الذي كنا فيه (أعني معتقل غوانتنامو) كان كبيرا جدا , وغالبَ غرفه كانت انفرادية , لذلك كان من الطبيعي أن يغيب عنه كثيرا من العبر التي لم يطلع عليها لكونه في عنبر آخر.

ولا تستغربوا إذا قلت لكم بأنه يمرُّ على أحدنا العام والعامين وهو لا يعرف أي شيء من أخبار زميله في العنبر الآخر , إلا ما قد يقع من بعض المعتقلين بالاتصال ِبالعنبر المجاور سرا وبسرعة عند استغفال الجندي الصليبي , وإلا ما يأتي أيضا من الأخبار مع شخص يُنقَلُ من عنبر إلى عنبر آخر , وهذه إحدى عجائب غوانتنامو أن لا يكون بينك وبين أخيك إلا حاجزا قماشيا أخضر اللون ولا يكون بينك وبينه إلا عدة خطوات فلا تعلم شيئا من أخباره لفترة طويلة !! فالكلام بين العنابر كان ممنوعا وأيضا كانت أماكن اعتقال الإخوة في مناطق وبلدان متفرقة ولهذا زاد عدد العبر التي فاتته مما حصل للإخوة الذين لم يلتقي بهم.

وعلى سبيل المثال قد رأيت بعض الأشياء بنفسي ولم أحدث عنها أي أحد , لا هو ولا غيره , فقد كنا نتحفظ على بعض الكلام لخصوصية ذلك المكان , فالخطر كان محيطا بنا من كل جهة , و كان المكان مليئا بأجهزة التصنت.وقد حاولت فيما بعد أن أمده بكل ما عندي من الفوائد , لكن تعذر ذلك وحالت بعض الظروف من الوصول إلى ذلك الأخ

كبعد المسافة بين دياري ودياره. و كذلك لم استطع إيصال رسالة له في المنتدى الذي كان يكتب فيه , لأمده بما عندي من معلومات لأني كما ذكرت لكم سابقا بأن الموقع الذي يكتب فيه محجوب في محل إقامتي. ثم لا حظت فيما بعد أن ذلك الأخ توقف فجأة ومن غير مقدمات عن إكمال دروسه وعبره. وأنا لا أدري هل هذا التوقف نهائي أم لا؟ وما هو سببه؟ ومتى سيعود إن قرر ذلك ؟ وقد حاولت أن أعرف ذلك بأي طريق فما استطعت إلى ذلك سبيلا .

ثم طلب مني أخ كريم فاضل مواصلة الموضوع الذي طرقه ذلك الأخ وإخراجه دفعة واحدة على شكل كتاب ونشره بطريقته الخاصة في شبكة يثق بها , وهي من خيرة شبكات المجاهدين **(شبكة الحسبة)** , لمَا في ذلك من فوائد كثيرة ستتحقق من نشره. كتحذير المسلمين من ألاعيب النصارى والمنافقين والجواسيس , ورفع الهمم والمعنويات بتبيين ضعف العدو وخوره , وصلابة الإخوة وجلدهم , وكذلك لتنبيه المجاهدين من خطورة الأسر وشدَّة إيلامه. وأن فيه فتنا كقطع الليل المظلم قد تكون سببا في خسران الدنيا والآخرة كما قص عليكم ذلك الأخ الفاضل في قصة يا سر أبو سرده. أو أن الأسير قد يضغط عليه فتأخذ منه معلومة ولو بسيطة قد تضر بالمسلمين وتنفع الكافرين. ولتنبيههم أيضا وتحذيرهم من طرق تعذيب الأسير ,فتهربت من إجابة ذلك الطلب. فلم يزد تهربي ذاك الأخ إلا زيادة إلحاح. فلمّا رأيت شدة حرصه على منفعة إخوانه وغيرته عليهم أجبت طلبه ونزلت عند مراده , فكتبت هذه المقالات ولسان حالي يقول كما قال القاسم بن علي الحريري في أول كتابته لمقاماته :

> أشار من إشارته حُكم , وطاعته غُنم إلى أن أنشأ مقامات أتلوُ فيها تلو البديع , وإن لم يدرك الظالع (أي المائل عن الطريق) شأوَ الضليع (السمين القوي) فذاكرته بما قيل فيمن ألف بين كلمتين , ونظم بيتا أو بيتين , واستقلت من هذا المقام الذي فيه يحار الفهم , ويفرط الوهم ويسبر غور العقل وتتبين قيمةِ المرء في الفضل , ويضطر صاحبه أن يكون كحاطب ليل , أو جالب رجل وخيل , وقلما سلم مكثار , أو أُقيلَ له عثار , فلما لم يسعف بالإقالة , ولا أعفى في المقالة, لبيت دعوته تلبية المطيع, وبذلت في مطاوعته جُهد المستطيع ... إلى أن قال رحمه الله [وأرجو أن لا أكون في هذا الهذر الذي هَذَرْتُهُ , والمَوْرِد الذي تَوَرَّدْتُهُ , كالباحث عن حتفه بظلفه, والجادع مارن أنفه بكَفّه , فألحق بالأخسرين أعمالا الذين ظلَّ سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسَبون أنَهم يحسنون صنعا , علىَ أني وإن أغْمَضَ (أي تسامح وتساهل) لي الفطن المتغابي , ونَضَحَ عني (أي جادل عني) المحب المحابي , لا أكاد أخلُصُ من غُمرٍ جاهل (أي الذي لم يجرب الأمور) أو ذي غِمْرٍ متجاهلٍ (أي صاحب حقد) يضع مني لهذا الوضع] .أهـ

أقول هذا ليلتمس لنا العذر على ما قد يعرض من قصور ونقص كل أخ ناصح , ولئلا يتجرأ علينا بالطعن والتثريب والتجريح عدو طاعن . وقد انتظرت قبل شروعي في الكتابة عدة أيام انتظر أخانا الكريم ليعاود الكتابة من جديد لعله أن يكفينا الكلفة والمشقة , فلم يعاود ولم يواصل كتابة الموضوع مرة أخرى , لذلك توكلت على الله في إتمام وإكمال موضوعه , وإضافة ما عندي من الفوائد , وقد سميت هذه المقالات «**يا ليت قومي يعلمون**» .

وأنا أعتقد بلا شك بأن الأخ سيعذرني لتطفلي على موضوعه لانقطاعه عن الإتمام ولأني أملك معلومات ليست عنده , مع أني حاولت إيصالها له بعدة طرق , وشتى الوسائل لكن بلا فائدة , فكل الطرق كانت مقطعة بيني وبينه كما ذكرت لكم , ورأيت أيضا أن المقصود من كتابتي وكتابته نفع المسلمين فبأي طريق حصل فهو سيفرح ولا شك , ولن يَعُدَّه تطفلا مني على موضوعه وبما أنه كان هو المستفتح للموضوع , فسأحتفظ وأثبت بعض كلامه وأزيد عليه زيادات وإضافات رأيت أنها مفيدة دون وضع علامة مميزة بين كلامي وكلامه , لأن من المعروف لديكم أن ما أكتبه هنا لا يعني بأني شاهدته بنفسي , بل قد أكون ـ وهو الغالب ـ سمعته من إخواني مما حصل لهم فنقلته إليكم , ونقلي لكلام الأخ صاحب الموضوع من هذا الباب , وأنبه إلى أني سأمشي على نفس الترتيب الذي مشى عليه أخي فأجزّأ المقالات وأرقمها لأن ذلك أنشط للقارئ ولئلا يدخل الملل والفتور إلى قلبه من طول المقالة فقد كان العلماء سابقا ولازالوا يقسمون المُؤَلّفَ إلى أبواب وفصول ومسائل ومطالب من أجل هذا الغرض , إلا إذا كان ذلك التجزيء يضر بتسلسل القصة وتتابع الأفكار فيها , فسأذكرها جملة واحدة من غير تقطيع , وسأعرض عن حشو الكلام ولن أطيل فيما لا طائل منه , بل سأركز على ما هو مفيد منعا للإطالة. فالقصد من كتابة هذه الرسائل هو تحذير وتنبيه المجاهدين من بعض الأخطار المحدقة بهم , ولأن الشاب المجاهد ـ لا سيما في وقتنا المعاصر ـ وقته ضيق جدا فهو مشغول بمطاعنة الأعداء والتربص بهم , لينقض عليهم متى ما سنحت له فرصة بذلك , وكثرة الكلام تسبب الملل والسآمة , وتؤدي إلى نسيان كثير من المعلومات المهمة لأن الكلام بعضه ينسي بعضا , وهي تصرف القارئ عن مواصلة القراءة , لذا قررت عدم إطالة الكلام فيما لا طائل منه , وأن أعطي القارئ زبدة الكلام لكي لا يتشتت ذهنه ,

فإن خير الكلام ما قل ودل ولم يُطـَـلْ فـيـُـمَـلَّ .

وأنبه إلى أمور :

١ـ إنّ هذه العبر ليست خاصة بكوبا بل هي شاملة لكل المعتقلات.

٢ـ أنا لا أزعم بأني استوعبت كل الدروس , ولكن حاولت جاهدا أن أجمع أكبر قدر منها , لذا فالمجال مفتوح لكل أخ لديه زيادة على ما خططته أن يدلي بدلوه.

٣ـ كل كلمة مجملة أقولها وتحتمل وجهين أو أكثر , فلينظر إليها , فإنها إن كانت في حق رجل مجاهد مسلم فلتحمل على أحسن مَحْمَل , إن لم تحتمل ذلك فليلتمس لي كل أخ أي عذر على تلك الكلمة , وأما إن كانت تلك الكلمة في حق إنسان خبيث , فلتحمل على أسوء محمل.

٤ـ ليس المقصود من ذكر طرق التعذيب والتضييق على لأسرى هو التخذيل والإرجاف كما قد يظن البعض , فكيف نخوف بعضنا بعضا منهم والله يقول ﴿ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ ﴾ قال ابن القيم : المعنى عند جميع المفسرين يخوفكم بأوليائه . ثم قال تعالى بعدها ﴿ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ قال حمد بن عتيق : فكلما قوي إيمان العبد زال من قلبه خوف أولياء الشيطان , وكلما ضعف إيمانه قوي خوفه منهم .

وما المراد من ذكر تلك الأساليب إلا أن يعلم المجاهد ما ينتظره من العدو , وحثه على أن يقاتل حتى يقتل ولا يُمَكِّن الأعداء من التسلط عليه بالأسر , ولو قدر الله وقوعه في الأسر لحكمة يريدها سبحانه فهو بلا شك قد يحتاج لمسائل فقهية وعقدية في أسره ولن يجد علماء يسألهم عن حاجته , فيجب عليه أن يتنبه لتلك المسائل ويعرف حكمها قبل وقوعها .

وقبل الشروع بالمقصود أتقدم بجزيل الشكر إلى أخي الفاضل لإثارته مثل هذا الموضوع , فجزاه الله خيرا على ذلك , وإن كان لي في هذه الكتابة شيئا من الأجر فأسأل الله أن لا يحرمه منه , فإنه نبهني لأمر كنت غفلت عنه , والدال على الخير كفاعله ولا يخفى عليكم أن الفضل للمتقدم. قال الشاعر:

فلو قبل مبكاها بكيت صبَابَة ٭ بسُعدى َشفَيْتُ النفس قبل التندم
ولكن بكت قبلي! فهيج لي البُكا ٭ بكاها , فقلت الفضل للمتقدم َ

وأسأل الله التوفيق والإعانة على ما عزمت عليه . وأسأله أن يطرح البركة والقَبُول لما سأخطه بيدي , وأن يجعله نافعا خالصا لوجهه الكريم , فبالإخلاص يبارك بالقليل ويعم نفعه.
اللهم إني توكلت عليك , فأنت حسبي ونعم الوكيل فصوب قلمي , واحفظه من الزلل , واجعل ما يخطه يكون أشد من النبل على أعدائك وأنفع لعبادك من الغيث
اللهم لا تكلني إلى نفسي طرفة عين ولا أقل من ذلك.

أخوكم :أبوصالح الأنصاري
أحد العائدين من غوانتنامو

وتلك الأيام ندوالها بين الناس

مما لا شك فيه أن الوثن الأكبر (الولايات المتحدة) تطاول على المسلمين فاحتل الديار بمساعدة زنادقة ملحدين منذ عشرات السنين وبنا فيها القواعد. فلا توجد بقعة من الأرض إلا وللصليب فيها قاعدة وحصن حصين , واستولى كذلك على الأموال , وتسلط وأضلّ نساء المسلمين وأبنائهم وبناتهم فأفسدهم عليهم تارة. وبلغ الأمر أن الرجل من المسلمين سلبت ولايته على نسائه باسم الحرية الشخصية التي فرضها الوثن وأتباعه على ديار الإسلام !!

وتارة أخرى يقتلهم باسم مكافحة الإرهاب والتطرف. فهو يفعل بهم ما يشاء فلا محاسب له ولا رقيب عليه فيما يفعل. ومَنع ذلك الوثن عباد اللّه بواسطة عملائه وسدنته المنافقين من تعلم دين اللّه وحالوا بينهم وبين تطبيق شريعة اللّه تبارك وتعالى ونصَّب الصليبيون والسدنة بكل مكر وخبث وخديعة في كل بلد من بلاد المسلمين علماء ضالين مضلين على أنهم مفتون شرعيون ليصبغوا لهم كل ما سبق من احتلال الديار وغصب الأموال والتسلط على الذراري ومحاربة دين الله بصبغة شرعية. , ليصير قبول ذلك الاحتلال بسبب تلك الفتاوى المنحرفة واجب شرعي, لأنه طاعة لولي الأمر الملحد , ومخالفته حرام شرعا بنصوص الكتاب والسنة. ولأن مصلحة الأكل والشرب واللبس ومصلحة العيش كعيشة البهائم أقصد أن يكون العيش للدنيا ومن أجل الدنيا فقط , مقدمة على مصلحة حفظ العقيدة والتوحيد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والمنافحة عن دين اللّه.

فتم لهم ما يريدون بسبب جهل الناس وبعدهم عن دينهم وإن شئت فقل لتظاهر الناس بالجهل. ثم أصبح هَمّ المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها ما ذكر من الأكل والشرب والنكاح وتوابعه فقط. فقبلوا كلام العلماء المضلين رغبة ورهبة. ثم جاء أبنائهم من بعدهم فقالوا ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ﴾ فسلكوا نفس منهج وطريقة الآباء. ثم تتابع الناس من بعدهم على ذلك.

ولما أراد سبحانه الخير للناس وأراد سبحانه أن يظهر دينه مرة أخرى بعد غربته. أقام فئة صغيرة قليلة مستضعفة تنافح عن دينه , وتصدع بالحق. ومَجَّتْ ولفظت ذلك الذل والهوان الذي لا يرضاه حر , ولم تستسغه , غضبة لدين اللّه , فقامت بواجبها الشرعي فنصحت وبينت. ولكن لا مجيب ولسان حالهم يقول أسمعت لوناديت حيا ولكن لا حياة لمن تنادي. ولما ضاق عباد اللّه ذرعا بتلك الحالة , حملوا راية التوحيد , وسووا صفوفهم , وأعلنوا الجهاد على الوثن الأكبر وأنصاره على ضعفهم وقلة حيلتهم. ولكنهم توكلوا على القوي الناصر ووثقوا به بأنه ناصرهم لا محالة لأنه سبحانه يقول ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ﴾ أي من ينصر دينه.

فنثر عباد اللّه سهامهم واختاروا بعضها. ثم رَمَوْا الصليبيين بتسعة عشر سهما. فأصبحت عليهم طيرا أبابيل , وأصابت أعداء اللّه بمقتل. وبارك اللّه بتلك الرميات للبنتاغون ومركز التجارة. فنكّل سبحانه وتعالى بأعدائه , وشفى صدور قوم مؤمنين , وأذهب غيظ قلوبهم , وأنزل عليهم سبحانه سوط عذاب. فهُزِمَ جمع النصارى وولى الدبر , طلبا للنجاة والسلامة.

ولكن :

أين المفر والإله الطــالبُ ٭ والأشرم المغلوبُ ليس الغالبُ

وأصبح أي مسلم إذا أراد أن يمتع ناظريه بما حل بالأعداء فما عليه إلا أن ينظر إلى التلفاز فإنه لن يري إلا جثثا كأنها أعجاز نخل منقعر. أو رجلا شاخصا بصره من هول ما رأى ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ﴿٧﴾ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ﴿٨﴾ وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ ﴿٩﴾ وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ ﴿١١﴾ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ ﴿١٢﴾ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴿١٣﴾ إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ ﴾ وسوط عذاب : أي نوع عذاب. فله الحمد تبارك وتعالى على نعمه الجزيلة.

ثم حاول ذلك الوثن المعبود في جميع أنحاء الأرض أن يعيد هيبته المزعومة بالقبض على من رتب لتلك العمليات المباركة وتبناها. ولكن بفضل من الله وحده قد خاب مسعاهم وخسر. وأنفقوا أموالا طائلة في حرب ضخمة كشفت حقيقة أمرهم ورجعوا منها خائبين مدحورين. فكانت عليهم حسرة وغلبوا بفضل من الله كذلك. لأن حقيقة حربهم أنها حرب مع الله , وبلا شك من يغالب الله يغلب.

ثم انطلقوا يمينا وشمالا ليقبضوا على شباب أهل السنة ليغطوا على تلك الهزيمة النكراء. فكنت أنا وغيري من ضمن المقبوض عليهم بباكستان. وكانت هذه رحمة من الله لي ولإخواني. فقد كنا في السابق نجادل عن الطواغيت وأعوانهم ونتمارى في أمرهم. فأراد سبحانه أن يرينا بأم أعيننا أنهم لا يرقبون في مؤمن إلاً ولا ذمة. أعني أنهم لا يراعون في مؤمن قرابة ولا عهدا.

ثم بعد تسلطهم عليّ نقلت من معتقل إلى معتقل إلى أن وضعت في معتقل كبير. فوجدت فيه عددا كبيرا من المعتقلين العرب والعجم. وبتوفيق من الله أحس أحد المعتقلين بضخامة ما يعد لنا من المكر. فقال لمن معه: يا إخواني لا تثقوا بهؤلاء الأخباث فإنهم سيقومون بتسليمكم للأمريكان , فقاتلوهم قبل أن يسلطوهم عليكم. فإما أن تكتب لكم النجاة منهم , أو تقتلوا فتكتب لكم شهادة في سبيل الله. فاتفق هو ومن معه في غرفته على العملية التي سينفذونها على الباكستانيين. واتفقوا كذلك على تفاصيلها وفوضوا واحدا منهم بإعلان ساعة الصفر. ولم يكن معهم من السلاح إلا سكاكين أخفوها معهم. وكان من اتفاقهم أنهم متى ما سمعوا التكبير (وهو ساعة الصفر) هجموا على جيش الردة الباكستاني طعنا بالسكاكين ومسحا بالسوق والأعناق.

ولما أشرقت شمس الصباح بدأ جيش الردة بإخراجنا من الغرف وإركابنا بحافلات كبيرة لننقل إلى مكان آخر. وبعد صعود كل المعتقلين في الحافلات وكان عددها فوق الأربع انطلق الرتل إلى جهة سرية مجهولة ليتم تسليمنا للأمريكان بسرية تامة. وبمجرد خروج الحافلات من بيشاور وأصبحت في أرض فضاء فيها بعض التلال الصغيرة. كبر الأخ وأعلن ساعة الصفر. فهجم الأسود على من كان معهم في الحافلة من الجنود فقتلوهم ولله الحمد. واستولوا على سلاحهم وأطلقوا النار على من كان فوق الحافلة من الجنود فانقلبت الحافلة بالجميع. ولم يتمكن المعتقلون في الحافلات الأخرى من المشاركة لأن الأمر كان مفاجئا لهم ومباغتا فلم يعدوا له عدة. وحصل اشتباك ورمي قتل على أثره سبع مرتدين. وأربع شهداء نحسبهم والله حسيبهم. ثم نفذت الذخيرة وما هي إلا لحظات إلا وطائرات ومروحيات المرتدين تحوم فوق الرؤوس. وازدحمت جنود الردة بذلك المكان. ثم نشر هذا الخبر في جميع الصحف العالمية. ولا يستعجل أحدكم فيقول: إن تعيين ساعة الصفر كان خاطئا. فلو كان تعيينها بداخل منطقة سكنية لكان أفضل. فقد لا يعرف بعضكم أن من طبيعة الشعب الباكستاني أنهم إذا رأوا شخصا يركض وخلفه عسكري يطارده أنهم يقبضون عليه مباشرة. ويسلمونه مرة أخرى للمرتد. وهذا ما حصل للأخ مانع العتيبي رحمة الله فعندما هرب من الجنود فتبعوه. دخل قرية قبل غروب الشمس فما غربت الشمس إلا وأهل القرية وأطفالها هم الذين يلاحقونه.

وكانت تلك العملية المباركة من مكر الله سبحانه وتعالى بأعدائه. وذلك لأنه كان من مكر الصليبيين والله أعلم أن يشتروا المعتقلين بأموال ثم ينقلونهم سرا إلى أفغانستان ثم ينشرون بوسائل الإعلام أن قوات المارينز الصليبية قامت بعملية إنزال على جبال أفغانستان فقبضت على هؤلاء المجاهدين في تلك العملية. فيزوروا الحقيقة ويحطموا معنويات المجاهدين. ويرفعوا من معنويات جنودهم وسدنتهم الذين يعبدونهم. ولكن يمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين. فقد سخر سبحانه ذلك المعتقل هو ومن معه للقيام بهذا العمل ليبطل مكرهم.

ومما يؤكد أن هذا هو مقصودهم من ذلك المكر. أني أول ما نقلت إلى معتقلات أفغانستان سألت عضوا صليبيا يعمل في منظمة الصليب الأحمر.

فقلت له : أي شيء قال لك الأمريكان عن مكان اعتقالي؟

فقال: هم يقولون أنه تم القبض عليك في أفغانستان !!
فقلت له : هذا غير صحيح بل تم اعتقالي في باكستان ثم سلمت إلى الأمريكان.
فقال لي : لكن هم يقولون خلاف ذلك.

بعدما انتهى ذلك الاشتباك تم نقلنا بسرعة إلى سجن صغير. وكان هذا السجن عبارة عن غرفة صغيرة جدا فوقها غرفة أخرى فيها بعض الإخوة. وكان ذلك أيضا في معسكر لجيش دجال باكستان برويز مشرف قاتله الله هو وجيشه. وكان عددنا في تلك الغرفة يزيد على الخمسين رجلا. لذلك كان لا يستطيع الواحد منا أن يمد رجليه من ضيق المكان. بل إن بعضنا ينام فوق بعض. ولا تستغربوا إن قلت لكم: إذا أردنا أن نصلي لا نستطيع أن نصلي جماعة واحدة بل يصلي بعضنا وبعدما ينتهون يصلى الآخرون. وكانوا لعنة الله عليهم والملائكة والناس أجمعين لا يسمحون لنا بالذهاب للخلاء , ويتعمدون تجويعنا. وما هذا أيضا إلا من خيرة الله لنا , ليُرينا سبحانه تطبيقا عمليا لقوله ﴿ وَإِذَا خَلَوْاْ عَضُّواْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِ ﴾ وقوله ﴿ وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ ﴾ أي يحبون لكم العنت والمشقة. وقوله تعالى ﴿ إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُواْ قَدْ أَخَذْنَآ أَمْرَنَا مِن قَبْلُ وَيَتَوَلَّواْ وَّهُمْ فَرِحُونَ ﴾ **وقوله** ﴿ لَا يَرْقُبُونَ فِى مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً ﴾.

وكانت هذه الغرفة محاطة بغرفة أخرى يسكنها الجنود فهي غرفة وسط غرفة. ولما رأينا أن الأمر وصل إلى هذا الحد, كسرنا الباب. وعندما رآنا الجنود ونحن نريد أن نخرج منها , هربوا وفروا. ولم يبق إلا مرتد واحد فاستقبلنا بسلاحه وصوبه علينا فقفز عبدالرحمن العمري (أبو أنس النيجيري) رحمه الله. من فوق الباب المكسور وانطلق إليه. فلما رأى المرتد ذلك هرب وولى الدبر ولحق بأصحابه. ولم يطلق طلقة واحدة من شدة فزعه. وكان حاله كحال حماس بن قيس عندما كان يعد سلاحا قبل مجيء النبي صلى الله عليه وسلم لفتح مكة.

فقالت له امرأته: والله ما يقوم لمحمد وأصحابه شيئا
فقال: والله إني لأرجو أن أخدمَك بعضهم
ثم قال: إن يقبلوا اليوم فمالِي عِلّه. هذا سلاح كامل وإِلّهْ. وذو غِرارَيْن سريع السَّلهْ.

فلما انهزم المشركون عند قدوم جيش المصطفى صلى الله عليه وسلم , دخل حماس على امرأته وقال : أغلقي عليَّ بابي .
فقالت : وأين ما كنت تقول؟ فقال :

إنك لو شهدت يوم الخَنْدَمَهْ * إذ فر صفوان وفر عكرمه
وأبو يزيد قائم كالمـؤْتِمَهْ* واستقبلتنا بالسيوف المُسْلِمَهْ
يقطعن كل رأس وجمجمه * ضربا فلا يسمع إلا غمْغَمَه
لهم نهيت خلفنا وهَمْـهَمَهْ * لم تنطقي باللوم أدنى كلمه

قوله كالمؤتمه : أي المرأة التي قتل زوجها وبقي لها أيتام , والغمغمه : أصوات الأبطال في الحرب.

ثم قمنا باحتلال غرفة أعوان الطاغوت. وصعد بعض الإخوة إلى الغرفة التي فوقنا وفتحوا الباب على من كان هناك. وما هي إلا لحظات حتى أحاط الجنود بتلك الغرفتين من كل ناحية بالمدرعات والرشاشات ذات العيار الثقيل والمروحيات تحوم فوق الرؤوس. ثم أتى مجموعة من الضباط فتفاوضنا معهم , ونظرا لأننا لا نملك سلاحا لم تكن تلك المفاوضات مجدية ولم تأثر تأثيرا كبيرا إلا أنهم قاتلهم الله صرفوا كيدهم عنا وخف أذاهم لفترة من الزمن. ثم نقلنا بعد ذلك إلى معتقل آخر. وهو يعتبر سجنا عسكريا كبيرا. وكان هذا بعد تقيدنا بناقلة جنود عسكرية بحبال لفترة طويلة. منذ الصباح إلى المساء مع تغميض العينين. وكانت طريقة التقييد طريقة خبيثة فكان الواحد منا لا يستطيع القيام ولا الجلوس بل بين ذلك. وتورمت أيدي الإخوة واحتقن الدم فيها. وفقد بعضهم الإحساس بها لفترة من الزمن. ثم صلينا على تلك الحالة صلاة المربوط الذي لا يستطيع استقبال القبلة , وصلاة فاقد الطهورين الذي ليس عنده ماء يتطهر به ولا تراب يتيمم به. وصلاة من لا يعرف دخول الوقت لأن الأعين كانت مغطاة , وصلاة من لا يستطيع القيام لغير مرض.

وبعد تخفيف الله علينا ووصولنا إلى ذلك المعتقل تم تقسيمنا إلى مجموعات. وتم وضع كل مجموعة في غرفة , وهي

غرفة بالاسم فقط. وأما حقيقتها فإنها أرض فضاء محاطة بحديد فولاذي , أرضيتها من الإسمنت المسلح , ليس فيها فرش ننام عليها. ولم يكن هناك إلا بطانيات رقيقة لا تقي من البرد مع أننا كنا في منتصف الشتاء. وكان من توفيق الله لي أني وضِعْتُ مع أخ كريم متواضع بشوش يطيل تلاوة القرآن. كلما تضايق أحد منا يواسيه ويصبره ويقول له وهو يتبسم يا شَيخ وحد الله. لقد كان جزاه الله خيرا وخفف عنه ثابتا صابرا لم تظهر عليه علامات الارتباك والجزع مع أنه مطلوب للأمريكان باسمه.

ومن ثباته أنه جاءنا في يوم مرتد فقال لنا عدة كلمات لكننا لم نفهمها لأنها ليست بلغتنا. وذلك الأخ الكريم يسمعه ويبتسم. فقلنا للأخ : هل فهمت ما يقول فتبسم وتظاهر بعدم الفهم. ثم لما انكشف الأمر فيما بعد , قال لنا : لقد فهمت من كلام الجندي السابق أنه يقول سيأتي جنود فيهم نساء ويأخذونكم إلى مكان آخر. وعرفت أن أولئك الجنود هم الأمريكان لأنه لا يوجد نساء في جيوش هذه المنطقة إلا ما يذكر عن الصليبيين. ولكن لم أرد تخويفكم , وأيضا عندما عرف أن المحققين الذين يحققون مع الشباب هم (FBI) لم يتمعر وجهه ولم يتغير بل بقي مبتسما بشوشا. ومن الصفات النادرة , في ذلك الرجل أنه كان متواضعا لإخوانه , ومن صور تواضعه أنه في عصر يوم من الأيام كان كل الإخوة جالسون , فمنهم من يحادث صاحبه ومنهم من يقرأ قرآنا ومنهم من يمشي .....الخ. فلم نشعر إلا وذاك الأخ الفاضل ابن الشيخ الليبي حفظه الله من الصليبيين وفرج عنه بمنه وكرمه ينظف دورة المياه في الغرفة التي كنا فيها. فهب الإخوة إليه وأجلسوه وعاتبوه , فلله دره ما أثبته ولله دره ما أشد تواضعه.

ملاحظة : تسليم الأخ الفاضل ابن الشيخ ومن معه للجيش الباكستاني كان بخيانة من أهل قرية , بعدما أضاف أهل القرية بعض المنسحبين من تورا بورا , ثم بعد ذلك سلموا للأمريكان.

وفي يوم قام محقق المباحث الفيدرالية الأمريكية باستدعائنا. وبدأ التحقيق معنا على أنه محقق من هيئة الأمم المتحدة , كما ذكر ذلك الأخ الفاضل في دروسه. وأخذوا ابن الشيخ الليبي. فقال له : من أنت وما هي قصتك, فقال: أنا محمد صالح من جمهورية مالي , وأنا أعمل بهيئة إغاثة إنسانية. فأرجعوه وأرجعونا إلى الغرف بعد تبصيمنا وأخذهم صور لنا متعددة. ثم بعد فترة قصيرة وزِّعت علينا ملابس زرقاء (بلسوتات) مكتوب عليها من الداخل , دولة الكويت محلات خليل بهاسين. وبعد العشاء جاءنا جندي. فقال : انتم ستنتقلون إلى مكان آخر, فاستعدوا للرحيل , فخرجنا واحدا تلو الآخر , ونظرا لأني كنت أتكلم الإنجليزية وكنت أيضا أعرف ضابطا منهم تكلمت معه في السابق عدة مرات عندما إضرابنا عن الطعام في باكستان. فوجدت ذلك الضابط واقفا عند حاملة الجنود قبل صعودي فيها , فقلت له إلى أين سنذهب؟ قال : إلى مكان آخر. فقلت له: إلى مكان آخر أو إلى المطار؟ فسكت , فقلت له: صدقني إن الأمر عادي, لكن حتى أكون على بينه من أمري. فقال: أنتم ستذهبون الآن إلى المطار , فصعدت الحافلة وقلت لإخواني: يا شباب الآن قال لي الضابط كذا وكذا فكونوا على بينه. ثم غُطيت رؤوسنا بأكياس سود بعد تقيد أيدينا من جديد.

وانطلقت الحافلة بحفظ الله ورعايته إلى المطار, فقال ابن الشيخ : من يقرأ لنا شيئا من القرآن , وبما أني كنت من الديار القريبة من دياره. فقد كنت أجرأ عليه أكثر من غيري فقلت له : اقرأ أنت. فقرأ من أول سورة الشعراء ﴿ طسٓمٓ ۝١ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ۝٢ لَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ أَلَّا يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ ۝٣ إِن نَّشَأۡ نُنَزِّلۡ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةٗ فَظَلَّتۡ أَعۡنَٰقُهُمۡ لَهَا خَٰضِعِينَ ﴾ **إلى أن بلغ** ﴿ فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلۡجَمۡعَانِ قَالَ أَصۡحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدۡرَكُونَ ۝٦١ قَالَ كَلَّآۖ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهۡدِينِ ﴾. وكانت قراءته فرج الله عنه بتدبر وخشوع وتمهل حتى وصلنا إلى المطار , فتوقفت الناقلة. وكان الهدوء مطبقا فلا يسمع أي صوت , ثم بدأ صوت أزيز محركات يسمع من بعيد وبدأ يقترب إلينا شيئا فشيئا ...

وسأنقل هنا ما كتبه أخ في مذكراته مع بعض التغيير البسيط فيه :

(فحطت طائرة الصليب في المطار. ونقلنا إليها بتربيط اشد من تربيط من زعموا أنهم لن يسلمونا إلى الأمريكان. لأننا نحن وهم مسلمون وأولئك كفار بزعمهم خابوا وخسروا. فحلقت تلك الطائرة بعدما ربطنا فيها كما تربط البضائع على أرضية الطائرة. حلقت وهي تحمل نخبة صالحة من أطهر شباب أهل السنة والجماعة. حلقت وهي تحمل مجموعة من الشباب الذين غدر بهم أعداء الملة والشريعة السمحة. حلقت وهي تحمل شبابا عملوا لخدمة هذا الدين أكثر مما هذر وثرثر من يظنون أنهم طلبة علم من المرجئة. حلقت هِيَ وخلفت خزيا وعارا لا يمحوه ماح من ذاكرة التاريخ على من خذلهم وتخلا عنهم).

وهنا أود أن أنبه إلى أنه مما يبين أن العملية كانت مؤامرة كبرى اشترك فيها الصليبيون والمنافقون ضد هذه الثلة القليلة. أن موفودا من القنصلية السلولية زار المعتقل قبل تسليمنا للأمريكان وأخذ بيانات جميع المعتقلين السعوديين وقال لهم بالحرف الواحد : قضيتكم كبيرة فلا تنتظروا الخروج بسرعة. وقال لهم قاتله الله من أفتى لكم بالسفر , أكيد أنهم حمود العقلة وعلى الخضير وابن جبرين. وأيضا جاء مندوب من السفارة الإماراتية والتقى بعبدالله الإماراتي وحاول الخبيث التهكم بالأخ. ولا يخفى عليكم أنهم بسبب عدم إيمانهم بالله واليوم الآخر وسوء ظنهم بربنا تبارك وتعالى. كانوا يظنون بأننا لن نخرج من هذا البلاء وإن خرجنا فرضا فلن نخرج إلا بعد تطاول السنون. لذلك كانوا صريحين في هذا الكلام. وظنوا أن هذا الكلام سيبقى طي الكتمان لعقود متطاولة. وأظهروا للناس خلافه بأنهم لا يعرفون شيئا عن مصير معتقليهم. وأن الولايات المتحدة خطفتهم بمساعدة حكومة باكستان قبل تمكن حكومات الردة من الوصول إلى مواطنيها. مع أن الواقع خلاف ذلك فقد كانوا يعلمون بكل ما حصل بل كان بتنسيق مشترك بينهم. ومما يعضد هذا الكلام ما رواه أحد الإخوة عن بعض المعتقلين , أنه سأل أحد المسئولين الكبار , فقال له : كيف تسلموني للأمريكان مع أني مواطن دولة أخرى , فقال له المسئول : نحن لا نسلمك وما يحصل لكم فإنه يكون كالتالي: نرسل كتابا إلى سفارة بلدك ونقول في الكتاب بأنه يوجد لدينا رجل يدعي بأنه من مواطنيكم , ونحن نريد أن نسلمه للحكومة الأمريكية. فتقوم السفارة بدورها بإرسال كتاب إلى وزارة خارجية بلدك. فتقوم الوزارة بدورها بالموافقة وإرسال كتابا آخر إلى وزارة الداخلية ثم تأتي الموافقة النهائية منها. ثم بعد كل هذه المراحل نحن نسلمك إلى الصليبيين. إذا عرفتم هذا فلا تستغربوا إذا رأيتم المعاملة التي يتلقاها من رجع من غوانتنامو سواء في المغرب والسلولية السعودية والبحرين وغيرها من البلدان. ومن عدم سجنهم لفترات متطاولة وعدم تعرضهم للاضطهاد كما هو حال باقي المعتقلين الآخرين. وبلا شك ستعرفون لم هذه المعاملة , وستعلمون أنها تقية , ومخافة أن يبوحوا بما شاهدوه وعاينوه.

وبعدما هبطت الطائرة في المطار الذي قـَصَدَتْهُ ونزلنا منها امتدت أيدي الصليبيين بالضرب والسحب ومحاولة تكسير الأيدي. وضغط وعصر الأعضاء الحساسة من البدن. وليُفزع الأخ أكثر فقديأخذه الجنود في بعض الأحيان ويتجهون به ناحية محرك الطائرة وهو مُغَطى العينين ثم يقترب بالأخ من المحرك ليوهموه بأنه سيلقى بداخل آلة ضخمة. وكان الضرب وتوابعه يختلف من شخص إلى آخر. فهو متفاوت وليس بدرجة واحدة. وهذا التفاوت بسبب أن الصليبيين كانوا يضعون على كل معتقل من غير أن يشعر علامة من خلفه يصنفونه بها. وكان هناك علامتين وتصنيفين فقط الأول (T) والثاني (BT) فالأول يعني : (تيرورست) أي : إرهابي والثاني : (بيج تيرورست) , أي إرهابي كبير. وبناءا على هذا التصنيف يكون نصيبه من الضرب والإهانة بمجرد نزوله من الطائرة وقبل دخوله على المحقق. ليدخل إليه خائفا مذعورا فيدلي بكل ما لديه من المعلومات دفعة واحدة. لذلك كان ابن الشيخ يضرب ضربا شديدا , لدرجة أني كنت أسمع صوت اللكمات التي كانت توجه له حفظه الله وثبته. مع أن المفترض أنهم لم يكونوا يعرفون شخصيته لأنه قال لهم : أن اسمه محمد صالح. وهو من جمهورية مالي.

بعد ذلك الضرب مددنا على أرض المطار الملساء واحدا بجانب الآخر وكان هذا في منتصف ليل فصل الشتاء , ولم يكن أحدنا يلبس إلا ذلك اللباس الأزرق المقدم من الحكومة الكويتية للصليبيين. فلم يغن عنا شيئا ولم يدفع عنا ذلك البرد القارس. وبما أننا في منتصف الليل فقد لف الهدوء والسكون وطغى على كل شيء. ولا يُسْمع في ذلك المكان إلا أصوات نباح الكلاب التي تحيط بنا من كل جانب. ومشي الجنود وحركتهم من حولنا. وأصوات محركات الطائرات وهي تدور .

وقد حدث لأحد الإخوة أمر يكشف حقيقة الصليبيين. يقول الأخ : وفي تلك اللحظة فتح الكيس الذي غُـطّيَ به رأسي فرأيت حقيقة القوم. أتدرون ماذا رأيت ؟ رأيت ونحن ممدون على الأرض جنود المارينز الأمريكي يقفون صفوفا من خلفنا وهم يلبسون ثيابا سوداء منتفخة كالتي يلبسها رواد الفضاء. ويلبسون أيضا نظارات سوداء كبيرة. مع أن الوقت كان في منتصف الليل. ورأيتهم يحملون أسلحة ضخمة ويمسكونها باستعداد وبوقفة ضبط وربط عسكرية وقد اختاروا لذلك جنودا أجسامهم ضخمة. فعرفت أنهم يصورون فلما سينمائيا , كأفلام رامبو! لأنهم يحتاجون حاجة ماسة لأي شيء يرفعون به معنويات شعبهم , ومن قبله معنويات جيشهم المنهارة , أهـ .

بعد هذا بدأ دخولنا على محقق مصري الجنسية استعان الأمريكان بخبراته في محاربة دين الله تبارك وتعالى. وكان من طريقته في التحقيق أنه بعدما يطرح سؤاله عليّ يبدأ أعوانه بالضرب , وعصر الأعضاء الحساسة , لأفقد تركيزي فيما أقول. ولما أتأخر وأتباطأ بالإجابة كان يتنرفز , ويقول بغضب شديد : عندما أسألك لا تفكر ولا تتأخر بالإجابة أريدك أن تجيب بمجرد سماع السؤال. أريد الإجابة بسرعة ومن غير تفكير. فلما قلت له : أنا لا أفكر ولكني لا أستطيع الإجابة

بسرعة بسبب ألم الضرب , فكأنه والله أعلم أشار لأعوانه بتخفيف الضرب , فخُفِّفَ عني.

ولا يظن أحد أنهم اتخذوا معي هذا الأسلوب لخطورتي وكثرة معلوماتي , بل أنا من الناحية الإستخباراتية بالنسبة لهم ليس لي أي قيمة تذكر. ولكنهم كانوا خائفين ومذعورين من الشيخ بن لادن والقاعدة. فأرادوا أن يحصلوا على أي معلومة صغيرة أو كبيرة , وعلى وجه السرعة , لعلها تنفعهم وتسعفهم , فاستماتوا من أجل الحصول على أي شيء غث أو سمين.

وبعد فراغي من التحقيق نقلت إلى مكان محاط بأسلاك شائكة فنظرت من بعيد فإذا فيه ابن الشيخ وهو متلحف ببطانية. وكان للتو قد فرغ من التحقيق. ونظرا لوجود عسكري يقف بالقرب من مكانه لم نستطع الكلام معه باللسان ولا الإشارة باليد. إلا أنه رفع بطانيته قليلا ونظر لنا نظرته المعتادة بثبات وتبسم. فلله دره ما أثبته.

بعد ذلك بوقت يسير لاح لنا من ثقوب في جدار بجوارنا بداية طلوع فجر يوم جديد , وهو أول يوم من أيام حياتي الحقيقية. فقد كنت قبله أعمى فأبصرت وجاهلا فتعلمت وغافلا فاستيقظت. ففهمت رغما عني معنى قوله تعالى عن المنافقين ﴿ هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾. وحينها عرفت من هو عدوي الحقيقي الذي سلط الكافرين علي وعلى إخواني. ونزع سبحانه من قلبي في هذا اليوم الرحمة للمنافقين والجواسيس رغما عني. فصلينا صلاة الفجر فرادى تحت البطانيات لأننا منعنا من الحركة. ومع طلوع الشمس أخذ ابن الشيخ للتحقيق ولم يرجع. وأخذت أنا للتحقيق مرة أخرى فطلب مني المحقق الأمريكي التكلم معه بلغته. فنظرت إليه ولم أتحرك وتظاهرت بعدم الفهم. فقال لي بالإنجليزية : أنا أعلم بأنك تفهم كلامي ولكنك لا تريد أن تتكلم بالإنجليزية. فتظاهرت بعدم الفهم كذلك. ثم قلت له : No English , فتكلم هو بالعربية وحقق معي بها. وكان قصدي من عدم التكلم معه بلغته أن أعطي لنفسي فرصة للتظاهر بأن كلامه غير مفهوم لي بعدما يسألني سؤالا محرجا. وللتفكير في الجواب قبل التكلم به في الوقت الذي يقوم فيه المترجم بترجمة الكلام إن كان التحقيق بواسطة مترجم. ولأنكر في المستقبل إن زللت بالكلام من غير قصد والاحتجاج بأن المحقق أو المترجم كان كلامه غير مفهوم بالنسبة لي أو أن الترجمة كانت خاطئة. وبعد الفراغ منه نقلت إلى معتقل جماعي مع تقييد الرجلين ليلا وصباحا , ومنعت من الكلام مع أي أحد كحال كل المعتقلين.

وأما بالنسبة لابن الشيخ فقد نقل مع طلوع الشمس لمكان آخر ولم يرجع لنا إلا بعد عدة أيام فعرفت فيما بعد أنه بعدما دخل على المحقق المصري وسأله عن اسمه. قال : اسمي محمد صالح , فقال له المحقق : أنت ابن الشيخ الليبي , فريح نفسك وعطنا من الأخير يكون خيرا لك. أو نستخدم معك أسلوبا آخر , فلما رأى الأخ الفاضل أن الأمر مكشوف ومفضوح اعترف بأنه هو ابن الشيخ. حينها فقط عرفت لماذا كانوا يضربونه ضربا شديدا عند أول نزولنا من الطائرة. ثم نقل إلى معتقل آخر. ولا أعلم عنه أي شيء إلى هذا اليوم إلا ما يروى من إشاعات بأنه نقل إلى دولة اليهود أو إلى مصر أو إلى ألمانيا الشرقية فالله أعلم. أسأل الله أن يحفظه من كل سوء أينما حل ونزل , ويصرف عنه شر كل ذي شر.

قلت لكم قبل عدة أسطر في قصة بن الشيخ أنه (رفع غطائه وتبسم لنا) هذه الجملة بالذات لم أذكرها اعتباطا ولا للتسلية. بل لأمر أردت لفت النظر إليه. وهذا الأمر الذي أردت لفت النظر إليه هو أني بعد سياق كل هذه الأحداث التي مررنا بها أردت دفع التوهم من أننا كنا منهارون نفسيا ويائسون. مع العلم بأننا كنا من أوائل المعتقلين. فالمستقبل بالنسبة لنا كان مجهولا , ولا نعرف ما يردون أن يفعلوا بنا. لكن كانت ثقتنا بالله كبيرة. ومعنوياتنا مرتفعة وعالية لذلك كان هذا الجبل الشامخ أميرنا ابن الشيخ يتبسم في أصعب الظروف مع كونه مطلوبا بالاسم للصليبيين , وأنه عندما ألقي القبض عليه خرج أكبر مسئول صليبي يبشر قومه بخبر اعتقاله.

وفي كل قصة ابن الشيخ التي ذكرناها عبرة وموعظة كبيرة. وهي أن ابن الشيخ لم يكن له فيما أعلم أي ظهور إعلامي. فشخصيته وصورته بالنسبة للأمريكان تعتبر مجهولة. إلا ما قد يحصلون عليه من المعلومات والصور عن طريق الحكومة الليبية. أو ما يحصلون عليه عن طريق الجواسيس. ولا يستهن أحد منكم بالجواسيس. واعلموا أن منهم من يستطيع أن يرسم بيديه صورة تقريبية للشخص المطلوب بعد مشاهدته ولو مرة واحدة. ومنهم من يستطيع عمل كروكي ومخطط تقريبي لموقع معين يريده إذا لم يكن لديه آلة تصوير يستخدمها. فبعضهم لديه قدرة عجيبة على الرسم , وقد يُعطى كبارهم دروسا في الرسم , لحاجتهم الماسة إليها.

ومن رحمة الله بعباده الصالحين أن الإنسان الخبيث مهما تحفظ ليكتم أمرا ما يضمره في نفسه. فلا بد من حصول زلة منه أو سقطة تكشف أمره. قال عثمان بن عفان : (ما كتم رجل سريرة إلا أبداها الله من فلتات لسانه وعلى صفحات وجهه) ومن هذا القبيل ما حصل لأركان العراقي ـ وهو أحد جواسيس أفغانستان وغوانتنامو الكبار الدهاة كما ستعلمون خبره العجيب فيما يأتي إن شاء الله ـ فقد كان أركان يتغزل ويعاكس مترجمة أمريكية تعمل في المعتقل. فأراد أن يبين لها مدى عشقه وتعلقه بها فرسم وجهها بيديه الخبيثتين. فكان الإخوة الذين بجواره يتعجبون ويستغربون من دقة رسمه. وهذه قرينة تضاف إلى قرائن وأدلة أخرى تدل على أنه من أخطر الجواسيس الكبار كما ستعلمون بإذن الله.

بعد سرد قصة ابن الشيخ وما حصل له بسبب العملاء الذين قاموا بتسليمه للنصارى وبكشف هويته لهم أحتاج لأن أذكركم بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((لا يلدغ مؤمن من جحر مرتين)). وبقول عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه : ((لست بخب ولا يخدعني الخب)) أي لست بمخادع ولا يخدعني المخادع. لذلك لعله من المناسب أن نذكر في هذا المَوْضِع ولو شيئا قَلَيًلا (١) عن العملاء وضررهم الشديد على الأمة عموما والمجاهدين خصوصا. بل لا يحسن بنا ونحن نريدَ الاستفادة من هذه التجربة أن نمر على مثل هذه القصة مرور الكرام ؟ وكيف نفعله ونحن قد بينا في أول الكتابة أن ما هذه الرسائل التي هي الآن بين أيديكم إلا صيحة نذير لتحذير المجاهدين من العملاء تكشفهم وتعريهم حتى يكونوا على بينة منهم وليتقوا شرهم.

لذلك أقول وبالله التوفيق إنه لا يخفى على كل من تأمل لواقعنا المؤلم. أنه سيجد أن غالب طعنات الغدر الموجعة التي وجهت للأمة ولرموزها كانت عن طريق الجواسيس والعملاء المخادعين. سواء منهم الجواسيس الكبار كالحكام أو من هم دونهم في الرتبة والمنصب. وسيلاحظ المتأمل أن هذه الطعنات لا تزال تتكرر مرة بعد مرة إلا أن الناس غافلون أو متغافلون عن هذا الخطر الداهم. ولتُعْلم خطورة الأمر وجدِّيَتَهُ سأذكر بعض طعناتهم. فمن هذه الطعنات إقصاء الشريعة وعدم تحكيمها بين الخلق وتحكيم القوانين البشرية بدلا منها وهي أضخم وأكبر وأفظع طعنة. وكذلك سجن عالم من علماء الأمة الشيخ عمر عبدالرحمن كان سببه جاسوس من الجواسيس. والقبض على خالد الشيخ محمد وأبو زبيدة كان بسبب العملاء. بل لولا ستر الله سبحانه وتعالى لكنا قد فجعنا قبل عدة سنوات باغتيال الشيخ بن لادن حفظه الله على يد عميل من العملاء لكن الله سلم. وملابسات هذه القصة أنه كان يوجد رجل بخاري فاجر يقضي عقوبة بالسجن في مملكة آل سلول بسبب قضية مخدرات وسرقة. هذا الرجل اسمه صدِّيق , جاءه في يوم ضابطان سلوليان رتبة أحدهما عقيد فعرضا عليه عرضا آثما. وكان هذا العرض هو أن يغتال الشيخ المجاهد أسامة بن لادن في أفغانستان مقابل ثمن بخس. خمسة ملايين ريال وجنسية سعودية. وهذا العرض مقدم من الملحد بن الملحد سلمان بن عبد العزيز آل سلول. فوافق صدِّيق على هذا العرض ثم أعطيَ على إثر ذلك دورة في مكان معين على الرماية بالمسدس بعدة هيئات , واقفا ومرتكزا ومنبطحا. ودورات أخرى قد يحتاجها في تنفيذ هذه المهمة الآثمة. ثم شرحت له الخطة بالتفصيل ومن سيستقبله في أفغانستان ليمهد له ويرتب أموره وكان هذا الممهد رجلا عراقيا. ثم رُحِّلَ إلى أفغانستان على أنه مبعد من مملكة آل سلول وغير مرغوب فيه , ليقوم بتنفيذ ذلك المخطط الآثم ولكن يمكرون ويمكر الله. فقد كُشِفَ وَفُضِحَ أمره بحمد الله , فقبض عليه وسلم لطالبان. ثم سجن في سجن قندهار , وبعد احتلال النصارى لأفغانستان أخرج من ذلك المعتقل ونقل إلى المعتقلات الأمريكية ليتعرف على من قام بالتحقيق معه من العرب في أثناء فترة اعتقاله عند المجاهدين. طبعا أنا لم أعرف هذه القصة إلا منه شخصيا. فهو من قصها بنفسه , بعدما ضغطنا عليه ليقص لنا حقيقة أمره. لكنه يقول : إنه تاب إلى الله فالله أعلم , مع العلم أنه سُلِم وأرجع لحكومة آل سلول مرة أخرى في هذا العام عام ٢٠٠٦. لذا يجب أن يكون المجاهدون متيقظون وعلى حذر منه. لأنه بجلوسه معنا ومخالطته لنا في السجن لفترة طويلة. عرف أشياء كثيرة عن الإخوة المجاهدين , فاحذروا منه لئلا يستخدمها بمكر جديد , فتوبت أمثال هؤلاء صعبة بل لا يَسْمح لهم أسيادهم بالتوبة.

(١) ولا يضر كونه قليلا , لأنه كما يقال : إن القليل بالقليل يكثرُ. ونحن بانتظار أي أخ ليدلي بدلوه , ليعم النفع كل المجاهدين.

أماحياة تسرّ الصديق وإما مماتا يغيض العدا

بعدما تم نقلي إلى داخل المعسكر لاحظت كما لاحظ الجميع أن قيادته كانت وجلة وقلقة جدا من أن يقوم الإخوة بعملية ضدهم , فهم يعلمون جيدا بأنهم يتعاملون مع نوعية نادرة لا تخاف من الموت بل تطلبه بشدة. كما يحرص الأعداء بشدة من أجل أن يبقوا على وجه الأرض أحياء يتنفسون , قال تعالى عنهم ﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ﴾ أي الموت ﴿أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٩٥﴾ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَىٰ حَيَاةٍ﴾ يعني تعالى إنهم حريصون على أيّ حياة كانت ﴿وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ ۗ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ أي أن حرصهم على الحياة أشد من حرص المشركين عليها.

وقد شاهدوا بأم أعينهم كيف تواثبت أسود الإسلام بأنفسها على مركز التجارة العالمي من غير خوف من الموت. ولم يتركوه إلا وهو أكبر كومة رمال في العالم بعدما كان أعلى ناطحة سحاب في التاريخ. وكذلك رأوهم حينما غنموا الطائرات الأمريكية فدمر بها بعضهم أكبر وثن في العالم أعني البنتاغون الأمريكي. و حلق آخرون بتلك الطائرات ناحية منتجع الرئاسة ليهشموا بها رأس رئيسهم إلا أنها أسقطت لأن أمر الله بتهشيم رأسه لم يحن إلى الآن. وشاهدوا بأم أعينهم كيف استولى شباب عزل ليس معهم سلاح على قلعة جنك وعلى الحافلات في بيشاور وعلى السجن العسكري الذي قصصت لكم خبره. ثم قتلوا عددا كبيرا من المرتدين والمنافقين. ومما يكشف للقارئ شدة فزعهم ورعبهم أنهم كانوا عندما يطلبون من أحد منا الذهاب معهم إلى التحقيق فإنه يجب عليه أن يذهب إلى مقدمة الخيمة ـ وهي في الحقيقة ليست بخيمة لأن سقفها سقف الخيمة فقط وإلا فجوانبها أسلاك شائكة ـ فينبطح على الأرض ويضع يديه فوق رأسه ويرجع باقي المعتقلون إلى آخر الخيمة ثم يذهب بعض الجنود المسلحين إلى خلف الخيمة من خارجها , فيصوبون السلاح على المعتقلين. ثم بعد كل هذا يدخل جنود آخرون وهم يركضون ليأخذوا معهم الأخ. فيقيدون يديه وأما رجليه فهي مقيدة باستمرار كما بينت لكم. ثم يُدخلون كيسا برأسه وبعد كل هذه الإجراءات الطويلة يُخْرَجُ الأخ من الخيمة. يضاف إلى ذلك أن الأنوار الكاشفة مسلطة على المعتقلين طوال الليل. والدوريات الراجلة لا تنقطع على مدار الساعة. وفي كل بضعة أيام إن لم يكن يوميا يمرون بمروحياتهم من فوق رؤوسنا. ولإرعاب المعتقلين أكثر فقد كانوا يُجْرون تدريبات للكلاب بين الخيام فينطلق أحد الجنود جريا وقد لبس ثيابا تشبه ثياب المعتقلين فيطلقون الكلب خلفه ليتعقبه فيقبض عليه ويبدأ بنهش يده المحفوظة بواقي. يريدون إفهامنا بكل ما سبق بأن المعتقل مُحَصَّن جدا , وأنه لن يستطيع أحد أن يقوم فيه بأي عمل ولن يُمَكن من ذلك فضلا عن أن يفر منه. من أجل ذلك الرعب (المرعب) , ولأن مصلحة المحققين تكمن في أن يأتيهم المعتقل مشتت الذهن وفاقد التركيز ومنهكا من التعب وشدة الجوع وقلة النوم , لكي لا يستطيع التركز في كلامه الذي يقوله وليستطيعوا الضغط عليه بسهولة لذلك اتبعت قيادة المعسكر في إدارته سياسة التضييق الشديد على المعتقلين , وتطبيق عقوبات قاسية مقتبسة من دراسات نفسية.

ولعله يجب علي في هذا الموضع أن أذكر بعض طرق التضييق التي اتبعها المحققون وإدارة المعسكر سواء كان هذا في أفغانستان أو في كوبا. وهذا ليس من باب التخذيل والإرجاف كما قد يتبادر إلى أذهان بعضكم. فإن المخذل هو من يفند الناس عن القتال ويزهدهم فيه , كمن يقول لا تؤمن هزيمة الجيش أو الحر أو البرد شديد يريد بذلك صرف الناس عن الخروج لقتال العدو. وأما المرجف فهو من يخوف الناس من العدو ومثاله كالذي يقول هلكت سرية من المسلمين وضعفوا ومالنا طاقة بالكفار ونحو ذلك إن كلامي ليس من هذا القبيل , بل أنا أقول بقوله سبحانه تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً ۚ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾. وأقول : ﴿قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٤﴾ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ ۗ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾. وأقول : اغزوا بني الأصفر , وقاتلوا أولياء الشيطان إن كيد الشيطان كان ضعيفا , اقتلوهم ونكلوا بهم على بركة الله. وسنوا بهم سنة أبي مصعب الزرقاوي رحمه الله وأسكنه فسيح جناته وجزاه

اللّه كل خير على تلك السُّنَّة الحسنة التي سنها فيهم. وأقول اطحنوا الأنذال واذبحوهم ذبحا وطهروا الأرض منهم ولا تخشوهم فاللّه أحق أن تخشوه. فهذا الجنس الكافر لا يستحق الحياة. فما أكفره وما أجبنه وما أفسده وما أنجسه من جنس. وما قصدت من ذكر طرق تضييقهم إلا ليعلم كل مجاهد علم اليقين بأن هذا الجنس العفن لا ينبغي إحسان الظن فيه وأردت منه عدم التأثر بالدعايات الإعلامية التي تقول بأن الأمريكان يراعون حقوق الإنسان ويعاملونه باحترام. فكيف يُحْسُن الظن بخصم كافر لئيم لا يعرف في عاداته وتقاليده ولا يوجد في المصطلحات التي يستخدمها أي معنى للفضائل أو مكارم الأخلاق أو المروءة أو العفة. بل كان أول ما شاهد بعينية من هذه البسيطة عند أول خروجه إليها هو الرذيلة والفاحشة .

لذلك أردت أن أقول لكل مجاهد يجاهد أعداء الملة بذكري لطرق تضييقهم علينا. يا أيها المجاهد قاتل في سبيل اللّه حتى تقتل فإن ذلك خير لك بكثير من الأسر. ولا تعط للأعداء أي فرصة لأن يأسروك. أيها المجاهد إياك ثم إياك أن تفعل ذلك. فالأسر مليء بالفتن التي هي كقطع الليل المظلم. والقلوب بين إصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف شاء سبحانه وتعالى. لذلك ينبغي أن تعلم بأنه يوجد احتمال ولو كان ضئيلا بعدم الصبر على تلك الفتن. وإن حصل ذلك - أعني عدم الصبر - لا قدر اللّه فهذا هو الهلاك كله. فلا ينبغي لك أن تستهين بهذه الفتنة.

من أجل ذلك المقصد النبيل أقول وباللّه التوفيق إن من صور التضييق التي كانت تتبع في المعتقل تقليل الطعام على المعتقلين فثلاث وجبات كنا نأكلها وهي باهتة خالية من الملح مع كونها مكررة. تعادل وجبة واحدة في خارج السجن. وفي بعض الأحيان لا تكون تلك الوجبة إلا لقيمات قليلة لا تقيم الصلب , وقصدهم من هذا الفعل واللّه أعلم أن يبقى المعتقل ضعيفا ومنهكا ليس به قوة. وليُصْرَفَ تفكيره وينصب على انتظار الوجبة الأخرى فيكون هذا هو شغله الشاغل. وليستطيعوا ابتزازه بسهولة ومن غير تكلفة تذكر فبدلا من أن يعطى عطية جزلة ليدلي بمعلومة مهمة يريدونها منه. أو ليعترف على نفسه. فإنهم يساومونه بطرق غير مباشرة ليعطى وجبة طعام شهية يسيل لها اللعاب في ذلك المكان ليعترف على نفسه - طبعا لا يلزم من ذكر الوسيلة أنه يوجد من استجاب لها. لكن بما أنها كانت تستخدم كوسيلة من وسائلهم , فيجب عليَّ ذكرها لتتنبهوا لمكر الأعداء ولتعرفوا قمة خبثهم ولؤمهم وأن غالب أساليبهم مستمدة من دراسات نفسية - ولكن يمكرون ويمكر اللّه فإنهم ما فعلوا شيئا يقصدون منه التضييق علينا إلا جعله اللّه رحمة وباب خير يفتح لنا يحثنا فيه تعالى على كثير من الطاعات. فبسبب قلة الطعام كان عدد كبير من الإخوة يكثرون من الصيام طاعة للّه أولا. ثم ليجمعوا الثلاث وجبات في وجبة واحدة ليسدوا بها الجوع. مع كون ذلك ممنوع في المعتقل. ومن فعله فإنه يعرض نفسه للعقوبة مع مصادرة كل طعامه , ولا يحتقرنَّ أحد منكم هذه الوسيلة فإن الإنسان إذا جُوِّعَ لفترة طويلة تصل لسنوات فإنه قد تضعف همته ويصيبه فتور فيقدم التنازلات نسأل اللّه العافية وهذه الطريقة كانت إحدى خطط الأعداء القدماء والخطر الحقيقي على الأمة أعني بهم المنافقين كما قال تعالى عنهم ﴿ هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُواْ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّواْۗ وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴾ وكذلك لم يكن هناك وقت محدد للوجبة مع أن المعروف عن الثكن العسكرية أن جميع المواعيد فيها منظمة جدا مما يشعرك بأن العملية كانت مدروسة وليست ناجمة عن خطأ.

ومن صور ذلك التضييق أنه لا يسمح للمعتقل بالنوم إلا لفترات قليلة ومتقطعة. فقد كان يجب على كل نزيل في معتقل أفغانستان أن ينهض ويقف في آخر الغرفة عندما ينادي الجندي كل ساعة للتحضير وعند التفتيش المستمر للخيام وعندما يُستدعى أحدنا للتحقيق ليدخل الجنود ويقيدوا ذلك الأخ قبيل اقتياده معهم. ومتى ما تخلف أحد منا وتأخر عن القيام فإن العقوبة تشمل الجميع. وأما في غوانتنامو فقد استبدلوا هذه الطريقة بطريقة خبيثة جدا يقطر منها المكر كله. وهي أنهم بنوا عنابر من غرف حديدية. فصفوا ثماني كنتينرات للبضائع. أربع من اليمين وأربع من الشمال وجُزِّأَ كل واحد منها إلى ٦ صناديق (غرف) ليكون مجموع الصناديق التي أريد لها أن تكون صناديق عذاب فأبت إلا أن تكون صناديق رحمة ٤٨ صندوقا يزيد طولها عن المعتقل بشيء يسير. وأما عرضها فقد كان اقل من ذلك وكان يجب على المعتقل الطويل أن يثني رجليه ليستطيع أن يتمدد في غرفته بالعرض. ثم رفعت هذه الصناديق بقوائم حديدية فأصبحت معلقة في الهواء. لذلك عندما يمشي الجندي في العنبر وهو يقوم بدوريته الراجلة على مدار الساعة فإن ذلك يحدث إزعاجا في العنبر وهزة خفيفة عند ارتطام رجليه بالأرضية الحديدية مما يمنعنا من النوم. بالإضافة إلى أن العيادة حينما تأتي لتوزيع الدواء المزيف فإنها تأتي لتوزيعه في منتصف الليل بعدما ينام الإخوة. يضاف إليه أن تنظيف العنبر يقوم به فريق المساء وهم يتعمدون إحداث ضوضاء وإزعاج عند غسيلهم. فكيف ننام ونحن نسمع صوت خرير الماء والضرب المتعمد للمكانس على أرضية العنبر مع ما يحدثه الجنود أنفسهم من إزعاج كما أنه في بعض الأحيان يقوم المحقق بإصدار قرار بعدم السماح لمعتقل معين بالنوم وهذا القرار يسمى في مصطلح المحققين بـ (الطيران

المتكرر) - فيقوم الجنود بنقل المعتقل من غرفة إلى غرفة أخرى كل ٣٠ أو ٦٠ دقيقة وعلى مدار الساعة صباحا ومساء وفي منتصف الليل حتى لا يُـمَكَّـن من النوم وقد تطول هذه المدة إلى أشهر وقد تقصر إلى أقل من ذلك. وإذا أرادوا إيذائه أكثر فإنه يتم نقله خارج العنبر إلى عنبر آخر ليكون النقل عليه أشق وأطول ومشيه فيه وهو مقيد اليدين والرجلين أكثر .

ومن صور البلاء والأذى الذي يواجه المعتقل في الأسر أن الأعداء يجربون عليه في حال مرضه أنواعا من الأدوية. فبعض الأدوية التي تصرف للمرضى مجهولة المصدر وليس عليه أي علامة تدل على هوية الشركة التي صَنَّعَته. وغالبه مسكنات وليست بدواء وهذا من أشد مكرهم لعنة الله عليهم لأنه من المعلوم أن المسكنات في مثل الظروف التي كان يمر بها بعض المرضى تزيد المشكلة بالنسبة لهم لأنها تسكن الألم فقط , ولا تُبْرِؤُ من الداء. ومعلوم أن الداء إذا لم يعالج مباشرة فإنه يستفحل ويقوى ويتمكن من البدن أكثر مع مرور الوقت. لذلكَ هم كانوا يصرفون المسكن لفترة طويلة ليزيدوا الجراح ولتتمكن الأمراض من المعتقلين لكن بطرق ماكرة ذكية من غير أن يشعر بها أحد. ليخرج المعتقل من السجن إن قُـدِّر له الخروج وهو متهالك البدن يحمل أمراضا مزمنة.

فضلا عن هذا فقد كان الصليبيون يتدربون على الأسرى جهارا نهارا. ومعلوم أن هذا غير مصرح به حتى في قوانين واتفاقيات جنيف التي يقدسونها ونبرأ إلى الله منها. فإن اتفاقياتهم تنص نصا صريحا على أنه لا يحق لأي دولة أسرت جنود دولة أخرى أن تجري عليهم تجارب وتدريبات طبية. ومن أمثلة تلك التجارب والتدريبات التي أجروها علينا أنني كنت في يوم مريضا أرقد في ذلك المستشفى الوهمي المتهالك. فأتوا بشخص ليفحصني ونظرا لصغر سنة وعدم خبرته مع ملاحظتي أن معه شخص آخر يشرف عليه في أثناء عملية الفحص فقد شعرت بأنه يتدرب علي فرفضت فحصه وقلت لهم: المفترض أن هذا الرجل يتدرب في الكلية وليس على بدني!!! ولكن بلا فائدة فقد أتم عملية التدريب وأجرى تجربته عليَّ. وفي مرة أخرى أتوا بممرض ليضع لي مغذيا في الوريد. إلا أني لا حظت انه لا يعرف استخراج العرق الذي يريد أن يحقن فيه فرفضت المغذي وتجربته. ولكنهم قالوا لي : ليس لك حق أن ترفض فللممرض أن يحاول ضرب الحقنة ثلاث محاولات فإذا فشلت الثلاث نأتيك بممرض آخر!! وطلب الأطباء من أبي الوليد المكي أن يوافق على بتر رجله بسبب إصابة كانت بها ولكنه تردد واستشار واستخار. وكان ممن استشارهم الدكتور أيمن الصنعاني وهو دكتور عظام معتقل معنا,, فنصحه بعدم الالتفات لكلامهم بعدما استفصل عن حالته بقدر المستطاع. فغضب الأطباء من الأخ وقطعوا عنه بعض الأدوية التي يحتاجها. وحصل نفس الأمر بالضبط لعبد الرحمن الصنعاني .

وكذلك هناك تعاون وتكاتف بين الأطباء والمحققين ضد المعتقل ليستخدموا أمراضه ضده وليضغطوا عليه بها ويجعلونها كوسيلة من وسائل التعذيب لانتزاع المعلومات منه. فمثلا إذا أصاب أحدنا أي مرض أو ألم , كوجع في ضرسه أو بواسير أو أكبر من هذه الأمراض أو أصغر , فإن الطبيب لن يقدم له العلاج ولا يسمح له بذلك إلا بعد موافقة المحقق الذي يتابع ملف المعتقل. وهذا الكلام ليس فيه مبالغة ومن سأل أي معتقل كان هناك سيخبره بالعجب العجاب ومن هذا ما حصل للأخ أبي بكر الشافعي فقد أصيب بمرض وكان يوعك بسببه وعكا شديدا لدرجة أنه في بعض الأحيان يسقط مغشيا عليه من شدة الألم , ولم تقدم له أي عناية طبية في البلد التي تزعم بأنها راعية لحقوق الإنسان , بسبب أن المحقق الذي يتابع ملف الأخ غير موافق على منحه الدواء ...!!! وللعلم أن غالب صور الإيذاء والعقوبات التي يعاقب بها المعتقل يكون لهذا تأثير سلبي على صحة الأسير على المدى البعيد كما سيتضح لك فيما يأتي بإذن الله.

ومن صور الإيذاء , أن الأسير لا يسمح له باقتناء أو تملك أي شيء في المعتقل. وكل ما يستخدمه فهو عرضة للسحب والمصادرة في أي لحظة , فالملابس التي يرتديها تسحب منه ولا يترك إلا بسروال صغير يستر بعض عورته , ومتى ما ركع أو سجد في صلاته انكشفت عورته أكثر. ويسحب غطاءه وفراشه ونعاله المطاطي والفرشة والمعجون حتى الدواء قد يقطع عنه كعقوبة كما أسلفت لكم. ومعلوم أن الإنسان إذا مشى أو نام على الحديد البارد فإن هذا يسبب له العديد من أمراض العظام والمفاصل والروماتزم والبواسير وسلس البول بسبب ارتخاء الأعصاب. وتحلق لحية المعتقل ورأسه رغما عنه ويمنع من الملح في الطعام لكي لا يحس له بأي طعم ولا يتلذذ فيه بل يكون أكله من أجل أن لا يموت فقط. كل ما سبق يفعل على أنه عقوبات .

وكان الأعداء حريصين كل الحرص على تجنيد أكبر عدد من الإخوة لذلك اتبعوا معهم كل الطرق والوسائل التي يستطيعون فتنتهم بها ترغيبا وترهيبا. ومن ذلك أنهم سلطوا عليهم مومسات بصورة مترجمات ومحققات طمعا

في أن يضعف الوازع الديني عند الإخوة مما يؤدي بهم إلى وقوعهم في مستنقع الرذيلة أولا. وثانيا: محاولة تجنيدهم بعد ذلك عن طريق ابتزازهم بما سجل عليهم من أفلام فاضحة. وبما أخذ عليهم من اعترافات. ولكن هذه الطريقة لم تفلح بحمد الله وباءت بالفشل إلا مع معتقل واحد فيما أعلم وسيأتي ذكره إن شاء الله. ولما لم تفلح هذه الطريقة لجئوا إلى طريقة أخرى لعلهم ينجحون بها لأنهم بحاجة ماسة لإسقاط الأسرى بالفخ ليبتزوهم. فقد كان يوجد معنا بعض المعتقلين يظن العدو بأنهم يملكون معلومات مهمة وقد حاولوا انتزاعها منهم بكل طريقة إلا أنها باءت بالفشل فلم يبق لهم إلا فتنتهم بالقوة لذلك أتوا لأحدهم بعاهرة على أنها مترجمة عربية وبدأت تتلمس وتتحسس على جسده بعدما قيد وربط في أرضية غرفة التحقيق. ولكن الأخ ثبته الله وبصق عليها فانصرفت ثم ضرب الأخ من قبل الشرطة العسكرية حتى كسرت سنه .

ومن صور ذلك البلاء العظيم أنهم قاتلهم الله كانوا يتعمدون بين كل فترة وأخرى امتهان الشعائر الدينية كتدنيس المصحف وامتهانه وإيذائنا في صلاتنا ومنه ما حصل في معتقل قندهار عندما كان عبد السلام ضعيف يؤم المصلين في صلاة الفجر فدخل الجنود على الأسرى وضربوهم في أثناء صلاتهم. وكحلق اللحى وأخذهم للسراويل الطويلة وإبقاء المعتقلين في بعض الأحيان بالسراويل القصيرة. وقد يصل لأبعد من هذا في بعض الظروف. وقاموا بلف بعض المعتقلين بعلم دولة اليهود. وفعلوا أمورا أخرى يعف اللسان عن ذكرها. يفعلون كل هذا ويزعمون كذبا وزورا بأنهم حافظوا حقوق الإنسان والشعائر الدينية ﴿مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِءَابَآئِهِمْ ۚ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ ۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾ وبعد تأملي لهذه الأفعال وسبب صدورها منهم وجدت والله أعلم أنها ترجع إلى أمرين مع قصور نظرتي:

أ ـ الحقد الدفين على هذا الدين وحملته .

ب ـ أنهم يعتقدون أن كل معتقل اعتقل في هذه الحرب ـ سواء كان في أفغانستان أو في العراق أو في غيرهما من الدول ما حمله على ترك الأوطان والأهل والأصحاب والخروج لمحاربة النصارى في تلك الحرب الصليبية إلا غيرته على دين الله , لذلك هم يحاولون إعطائه جرعات من صدمات دينية يمتهنون بهذه الصدمات دين الله لتضعف هذه الغيرة في نفس الأسير شيئا فشيئا حتى تزول بالكلية. وذلك أن الإنسان إذا رأى تلك المقدسات التي كان يستميت من أجل حفظها ورعايتها وصيانتها من كل ما يخدشها , عندما يراها تنتهك وتمتهن أمام عينيه أسوأ امتهان وهو لا يستطيع أن يفعل لها أي شيء ولا يستطيع أن يذب عنها ستقل قداسة هذه الأشياء في نفسه إلى أن يتبلد إحساسه تماما في نهاية الأمر. ومثل هذه الطرق بالضبط تستخدم في بلداننا الإسلامية من قبل العلمانيين والمنافقين في الهجوم على شرع الله وعلى نبيه الكريم صلى الله عليه وسلم , وعلى صحابته الكرام رضي الله عنهم أجمعين , حتى صار آخر أمر الناس أنهم يعدون أنَّ من تهجم على من سبق ذكرهم ورماهم بالنقائص أنه إنسان يعبر عن رأيه وهو من حرية الرأي وهذا أمر طبيعي , وهو غير مُستنكر, ومن استنكره قال أنا لا أقدر أن أفعل أي شيء إلا من رحم الله منهم.

وبمعنى آخر أقول: إن الرسالة التي يريدون توجيهها للمعتقل من خلال هذه الممارسات , أنهم يريدونه أن يقول لنفسه بأني إذا كنت لا أستطيع أن أدافع عن نفسي عندما أخذت ملابسي وكشفت عورتي وامتهن المصحف ومنعت من الصلاة وأوذيت فيها وحلقت لحيتي وسُبَّ تبارك وتعالى أمامي فلم أستطع فعل أي شيء. ولم أستطع الدفاع عن نفسي عندما اعتدي عليّ , أو أن أذب عن ديني , فكيف سافرت للدفاع عن الآخرين ثم يصبح بعد ذلك إنسانا سلبيا لا يعرف معروفا ولا ينكر منكرا. فالله أعلم أن هذا هو ما يريدون من المعتقل أن يفكر فيه وأن ينطبع في ذهنه. ولكن بحمد الله أن النتيجة كانت بعكس مقصودهم تماما فقد تعرى العدو أمامنا. وانكشفت سوءته القبيحة أكثر وبان لجميع الإخوة حقيقة القوم. وسقطت أقنعة أوليائهم من منافقي العرب والعجم ومشايخهم ومفتينهم وبان حقدهم على دين الله وعلى حملته. فقد كان أمرهم ملتبس على كثير من الأخوة ممن ليس عندهم علم. وأما الآن فتحامل الإخوة عليهم أكثر لما شاهدوه بأم أعينهم فليس المُخْبَر كالمُعاين. وعرفوا بأنه يجب على المجاهد أن يحتفظ بسلاحه ولا يتخلى عنه لأي سبب كان , بل يلازمه حتى في حال نومه وفي حالِ راحته. وأنه متى ما ألقى سلاحه فإنه يكون بذلك قد ارتكب خطأ لا يغتفر قد يؤدي لتسلط خصمه عليه. وأحمد الله أني سمعت من بعض الإخوة يقولون بكل صراحة : الآن قد عرفنا أن الرجل لا يلقي سلاحه.

واعلم أيها المجاهد بأن الأعداء لا يفوتون أي فرصة تلقي فيها سلاحك بل يغتنمونها مباشرة وبسرعة. وليتضح لك هذا أكثر فاعلم أن الأخ المجاهد أبا زبيدة فرج الله عنه وفك أسره. تعطل سلاحه فطلب من أحدهم أن يبدل له السلاح وبمجرد وصول هذا الخبر للأعداء هجموا مباشرة على المكان الذي كان فيه الأخ الفاضل ليقبضوا عليه. إلا أنه لم

يستسلم لهم بل قاوم بساطور لتقطيع اللحم كان بحوزته لأنه يعلم بخطورة الأسر ويعلم أن القتل خير له من الأسر ولكن الله غالب على أمره. وهذه القصة أخبرني بها بعض من كان مع الأخ المجاهد الفاضل حين اعتقاله.

وبغض النظر عن كل ما سبق يجب أن يعلم الجميع بأن من أخطر الأمور التي قد تواجه المعتقل في فترة أسره أنه قد يكون عنده معلومات وسواء كانت صغيرة أو كبيرة لكنها تنفع العدو إذا عرفها - فيأتيه ضغط فلا يستطيع أن يستحمله أو أن يصبر عليه فيتكلم - وسواء كان كلامه بقصد أو بغير قصد كزلة لسان - فيكون سببا بالإضرار برجل مسلم وقد يتعدى الضرر لأكثر من واحد بل قد يطول الأمر كل المجاهدين. ولن ينفعه حينئذ ندمه. وهنا لعلي أتوقف عن سرد طرق تضييقهم , لأني أحسب نفسي والله اعلم أني قد حذرتكم بما فيه الكفاية بما سبق ذكره من الأسر ومعاناته وآلامه. لأني قصدت التحذير من الأسر وليس التخويف من العدو , لذا سأعرض عن ذكر باقي الأساليب كالضرب وغيرها من الوسائل الساقطة.

وهنا وقبيل نهاية هذه المقالة , سأذكر موقفا ثم ثناء ثم طلبين. أما الموقف فهو لرجل معتقل في غوانتنامو , وأردت من بذكر الموقف دفع التوهم الذي قد يحصل للقارئ بأن الأسرى قد ضعفت همتهم بسبب تلك الممارسات الصليبية واستجابوا لأهدافهم. فالموقف كان لأحد الأبطال الذين صَدَّرَ فيهم المحقق قرار منع من النوم فكان ينقل من غرفة إلى غرفة كل ساعة مع أخذه إلى غرفة التحقيق وتربيطه بأرضيتها. وكانت طريقة التربيط كالتالي: يجلس المعتقل على مقعدته ثم تُدْخَل يديه من تحت فخذيه مع تقييدهما بحلقة متصلة بالأرض لكي لا يستطيع الاستلقاء على ظهره ولا الانجراف على جنبه ويترك هكذا لساعات طوال تصل لـ ٣٦ ساعة أي يوم ونصف. ولا يسمح له الذهاب للخلاء ولا الأكل ولا الشرب. بالإضافة لوضع كشافات فلاش ملونة أمام وجهه أحمر وأزرق وأصفر تضيء ثم تنطفئ باستمرار لكي لا ينام بتاتا مع تشغيل موسيقى عبدة الشيطان عليه بصوت عال. ومنعوا عنه الدواء لمرض كان فيه. ولما طالت المدة أردت تصبيره وتثبيته على مصيبته. فما أن بدأت الكلام معه عن الصبر حتى قاطعني قائلا : يا أبا صالح إذا رأيت أعداء الله راضين عنك فاعلم بأن عندك خلل فراجع نفسك ومتى ما رأيهم غير راضين عنك ويبغضونك فاحمد الله لأن هذا يعني أنك على خير فسَكَـتُّ ولم أنطق بأي كلمة إلا قولي جزآك الله خيرا .

وأما الثناء والإشادة فهي بالأخ البطل الشهيد نحسبه والله حسيبه ولا نزكي على الله أحدا أبو مصعب الزرقاوي وبأنصاره الذين نصروه وعزروه ونكلوا بعباد الصليب أيما تنكيل فقذفوا الرعب في قلوبهم وشردوا بهم من خلفهم، حتى صار هذا الرعب باديا وظاهرا على وجوههم. فلعنة الله عليهم وعلى وجوههم. وقد رأيت بنفسي وأنا في غوانتنامو كيف دب الرعب في قلوبهم عندما نحر البطل أبو مصعب بيديه الكريمتين أحد العلوج. فأصبحوا في حيص بيص! وأذكر هنا هذه القصة من باب إدخال السرور على قلوب القراء الشرفاء الكرام , ولحث خليفته أبا حمزة على نهج الطريق الذي سلكه سلفه ليكون خير خلف لخير سلف. وليعلم الشيخ المهاجر بأن طريقة سلفه كانت مؤثرة بالعدو ومثمرة، لذلك أقول: لقد كنا في يوم أحد العنابر في غوانتنامو فتسرب إلينا خبر مضمونه، أن أحد العلوج نُحر بالسكين وصور ذلك بشريط فيديو ثم نشر هذا التصوير في كل وسائل الإعلام , فأردنا التأكد من صحت هذا الخبر , فتحدث أحد الإخوة مع أحد الجنود عن أمر معين ثم سأله هل شاهدت في التلفاز ذلك الرجل الذي قطعوا رأسه بسكين. فسكت الجندي ولم يتكلم ثم ذهب بهدوء وخرج خارج العنبر. فاستغربنا من هذا التصرف. ولم ندر ما الذي حمله عليه. ولما دخل ذلك الجندي إلى العنبر مرة أخرى ناداه ذلك الأخ وقال له مالك ما الذي حصل لك عندما سألتك ذلك السؤال. فقال والدموع تتلامع في مقلتيه الخبيثتين وهو يوشك أن يبكي: لقد كان منظرا بشعا. فلما تأكد لنا الخبر كدنا نطير من الفرح ووالله لقد قال أكثر من واحد منهم لو نعلم بأننا سنرسل للعراق لهربنا إلى كندا ولما ذهبنا إلى هناك كل هذا من شدة رعبهم، فلله درك يا أبا مصعب لقد أفزعتهم أنت وأنصارك بتوفيق من الله أيما فزع ووالله لو كان أبو مصعب حيا واستطعت الوصول إليه لقبلت رأسه وبين عينيه لإدخاله السرور على قلوبنا في ذلك المحبس.

وأما الطلبان فهما مقدمان لوزير الحرب في دولة الإسلام حفظها الله ورعاهاوجعلها غصة في حلق كل من في قلبه مرض وشَرِقَ بها:

الأول : يا حبذا لو أنه حفظه الله ينحر واحدا بيديه الكريمتين ويهدي هذا العمل لجميع إخوانه المأسورين في كل السجون ليفرحهم ويدخل السرور إلى قلوبهم بعد طول الحزن والكآبة فإن الخبر سيصلهم ولا شك مع من سيلحق بهم.

وأمـا الثاني : فأطلب منه أن يرتب عملية ضخمة يأسر بها كبيرا من كبراء العدو فيطالب باستبداله بأسرى المسلمين

وعلى رأسهم النساء والأخ خالد الشيخ محمد , وأبو زبيدة , والشيخ عمر عبد الرحمن , وابن الشيخ , ورمزي بن الشيبة وغيرهم.

هم العدوّ فاحذرهم

{يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم}

بما أني تعهدت في مقدمة الموضوع أن أجتنب حشو الكلام وإطالته والإعراض عن ذكر القصص والمواقف الحزينة ما لم تكن هناك مصلحة راجحة من ذلك. والتزمت بأن أعْطيَكم زبدة الموضوع حفاظا على أوقاتكم الثمينة , لذلك يسعدني أن أقول لكم : إن فراغي من هذه المقالة , معناه أني فَرغت من كتابة الموضوع كاملا ففيما ذكرت من النصائح والعبر غُنْيَة وكفاية عن الإطالة للبيب أراد الاتعاظ والاعتبار. فقد ذكرت بحمد الله بعض القصص التي تدل على صبر الشباب واحتسابهم وجلدهم. وبينت طرق الضغط التي اتبعها العدو , وأساليبهم في فتن الأسرى , وقصدي من ذلك كما تقدم أن يحرص المجاهد كل الحرص على القتال حتى الموت , وعلى فرض أنه مع حرصه من عدم وقوعه في الأسر إلا أنه قد يحصل خلاف ذلك. من أجل ذلك الاحتمال قد بينت طرق المحققين في انتزاع المعلومات , وهذه خلاصة الموضوع المركزة , فيما أظن , والله تعالى أعلى وأعلم .

لذلك أقول على بركة الله:

ذكرت في المقالة السابقة كل الطرق والحيل التي عرفتها من خلال تجربتي وقام العدو باستخدامها في استخلاص المعلومات من الأسرى ولم أترك إلا طريقة واحدة نظرا لأهميتها وخطورتها. فقد آثرت أن أجعل لها مقالة منفصلة لتعطى حقها المناسب لها كاملا. و قررت تأخيرها إلى نهاية كل المقالات , لتبقى عالقة في الذهن فلا تنسى. لأنها قضية حسّاسة وشائكة للغاية. وطالما آذت المسلمين , وكانت خنجر غدر يُطـعَن به مرة بعد مرة. كل مخلص يريد رفعة دين الله وإصلاح ما أفسده المنافقون. وهذا الخنجر الذي أعنيه هو خنجر الجاسوسية. فقد سلط علينا العدو جواسيسه ليستخلصوا من المعلومات ما عجزت عنه التكنولوجيا المتطورة. لأن الجواسيس كما أسلفنا لهم مجالات وأعمال لا تستطيع الأقمار الصناعية ولا أدق الأجهزة القيام بها. فعلى سبيل المثال يستطيع الأسير أن يتحدث مع صاحبه عن أخطر الأمور باستخدام إشارات اليد. ولن تستطيع كل الأجهزة والكاميرات رصد فعله هذا. لذلك هم يحتاجون لجاسوس يرصد كل الحركات والسكنات حتى في الزاوايات التي لا تصلها الكاميرات. وأيضا يستطيع الجاسوس المتستر بصورة أخ مشفق أن يبث إشاعات بين الأسرى تحدث بلبلة وربكة كبيرة قد تكون سببا في سقوط عدد كبير من الإخوة البسطاء. كما هو حال بعض المتسترين في المنتديات الجهادية بصورة إخوة مخلصين كما أسمع. ويستطيع الجواسيس والعملاء المتسترون بصورة طلاب علم وعلماء أن يضلوا قطعانا كبيرة جدا من المسلمين بفتاواهم السياسية. وأن يسلطوا المنافقين واليهود والنصارى على رقاب المسلمين باسم الدين وطاعة ولي الأمر. كما بينا ذلك في أول الموضوع. لذلك ينبغي أن يعلم أن للجواسيس والعملاء أعمالا ومهمات كثيرة أكثر من أن تحصر. ولا يقتصر عملهم على نقل الكلام كما يظن كثير من الناس , بل إنهم يتقمصون شخصيات متعددة بحسب ما تقتضيه الظروف من مجاهدين ودعاة ومصلحين وعلماء وحكاما وغيرها من الشخصيات. وقد تبين صدق هذا للجميع. ولا يستطيع إنكاره إلا إنسان مكابر معاند أو إنسان عميل يدافع عن أسياده العملاء. من أجل تلك الحقيقة المرة لم يغفل العدو هذا الدور الخطير للجواسيس والعملاء , فاستعان بهم علينا.

وبعون الله سأكتب نبذة مختصرة عن كل الجواسيس الذين رأيتهم. وسأذكر لكم بعض ما فيهم من الصفات , لتكون بمثابة تنبيه وتحذير للمجاهدين من كل من يتصف بتلك الصفات , وقد نبهنا الله سبحانه إلى ذلك أعني إلى الاعتبار بالصفات , بقوله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم بعد أن فضح له المنافقين ﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَٰكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم

بِسِيمَٰهُمۡۚ ﴾ , أي أنك ستعرفهم بعلاماتهم , ثم قال تعالى ﴿ وَلَتَعۡرِفَنَّهُمۡ فِي لَحۡنِ ٱلۡقَوۡلِۚ ﴾ أي بمعناه إذا تكلموا عندك بما فيه تهجين أمر المسلمين أهـ .

ومن خلال معرفة سيرتهم القبيحة ستعرف بالتالي وظائف الجواسيس. وبإذن الله سأقتصر على ذكر أسماء الجواسيس الخُلَّص المتفق على جاسوسيتهم. وأما من كان أمره ملتبسا وحالته مشتبهة , فسأحتاط لديني ولا أذكر اسمه لأني سأضع احتمالا بأن يكون هذا الرجل رجلا أحمقا أورد نفسه المهالك بسبب سذاجته ووضع نفسه في المواقف المحرجة. ولكن مع هذا الاحتياط فإني سأذكر مواقفه المريبة ليتعظ بها الآخرون. وليتجنبوا وضع أنفسهم في مواضع الرِّيَب. ومتى ما سألني عنهم في المستقبل أهل الجهاد العاملين وعن أسمائهم فسأخبرهم بها ليتجنبوا إدخالهم في ساحات الجهاد (لكن بشرط أن أثق بأن هذا السائل هو مجاهد وليس ....). وصحيح بأننا لا نملك دليلا صريحا وحجة بينة ندخلهم بها في زمرة المنافقين , ولكن في نفس الوقت قد أصبح أمر هؤلاء مشكلا علينا. لذلك نحن لا نستطيع إدخالهم إلى ساحات الجهاد للشبهة التي أثاروها على أنفسهم. ولا يستغرب أحدٌ هذا القول والفعل مني , فإن هذا الفعل له أصل في الشريعة. ألا ترون أن العلماء يقولون : إن الإمام يحق له أن يمنع المُخَذِّل والمرجف من حضور المعركة , لما في حضورهم من ضرر قد يلحقونه بالمسلمين. مع أنهم ليسوا بكفار . والله تعالى أعلى وأعلم.

تنبيه : قبل شروعي في ذكر أسماء الجواسيس وأفعالهم أشير إلى أن غالب الجواسيس هم من تلك الدولة التي قهر أهل السنة فيها الصليبيين (أي من الجنسية العراقية). ولا تستغربوا من هذا فإنه سيتبين لكم لا حقا بأنهم لم يكونوا من أهل السنة طرفة عين بل كانوا مجوسا أثنى عشرية. يقومون بنفس مهمة ودور سلفهم ابن العلقمي عليه وعليهم لعائن الله المتتابعة والمتتالية إلى يوم القيامة. فإذا عرف السبب بطل العجب . لذلك اقتضى التنويه.

بعدما نقلت من معتقل باغرام إلى معتقل قندهار , واستقررت فيه لفترة من الزمن. لا حظت أن الصليبيين أحضروا مجموعة صغيرة من المعتقلين. ووضعوهم في أول الأمر في معزل عن باقي الأسرى في خيمة منفصلة. فرمقهم بعض الإخوة حديدي (أي أقوياء) البصر ليستكشف الأمر فإذا بالخبر الآتي هو أن هؤلاء الأشخاص هم الجواسيس الذين ألقي القبض عليهم في أفغانستان قبل دخول القوات الأمريكية وتم إيداعهم في سجن قندهار. ثم لما نزل الصليبيون إلى أرض أفغانستان , قاموا بإخراجهم من ذاك السجن وأحضروهم إلى سجن جديد في معتقل مطار قندهار بدلا من أن يكافئوهم على عمالتهم بالخروج. (والكلام هنا لا يشمل رأس الكفر والزندقة والإلحاد أركان العراقي المجوسي كما سيأتي في قصته بإذن الله). ثم اتضح لنا فيما بعد أنهم جاؤوا بهم ليتم استخدامهم من جديد , وليأخذوا ما عندهم من معلومات (على الطبيعة) عن جميع الإخوة وبالخصوص عن القواد وعن الإخوة الذين حققوا مع الجواسيس عند أول القبض عليهم (لأن هؤلاء المحققين يعتبرون عند الأمريكان محققين تنظيم القاعدة). وعن الإخوة الذين كانوا يضغطون على الجواسيس في أثناء التحقيق. وبمعنى آخر أن من الأسباب التي دفعتهم بالمجيء بهم أنهم يريدونهم أن يكونوا شهودا على الإخوة , مع العلم أن كل أولئك الجواسيس أعلنوا توبتهم وندمهم في أثناء فترة سجنهم على الخطأ الفادح الذي ارتكبوه. ولكن صدق المثل الذي يقوله العوام «ذيل الكلب لا ينعدل».

وكان الشياطين المحضرون هم :

١ـ رأس الكفر أبو لهب العصر, الشيطان الإنسي الكبير : أركان محمد قافل الكريم , الشهير بإسلام العراقي. ذلك الرجل الذي كل من سمع بأنه جاسوس صعق من هول الصدمة.

٢ـ عبد الرحيم عبد الرزاق الجنكو.

٣ـ عبد الحكيم البخاري.

٤ـ هشام الروسي.

٥ـ صديق التركستاني وقد سبق ذكر قصته.

أولئك هم الشياطين المحضرون. ويضاف إليهم , أعداء الله سعد الباكستاني وياسر با سرده وعلي وجواد وحسن

العراقيين. وأما بالنسبة لبشر الراوي فلم أعلم بأنه كان عميلا محنكا إلا بعد إطلاق سراحي وقراءتي لكلامه عن نفسه بأنه كان جاسوسا على الشيخ أبي قتادة الفلسطيني فك الله أسره. وبأن جهاز المخابرات البريطاني (MI٥) قد تخلى عنه وسلمه في القارة الأفريقية للأمريكان, فقبح الله جميع الجواسيس .

وسأبدأ الآن بفضحهم بمعونة من الله لكي لا يتم استخدامه مرة أخرى فإن هؤلاء الأخباث بمخالطتهم للأخوة قد عرفوا الكثير الكثير من أخبار الشباب واهتماماتهم. فالخوف كل الخوف من أن يتم إرسالهم لمناطق الجهاد النائية ممن لا يعرفون خبرهم. فيطعنوا المجاهدين طعنة خبيثة جديدة , فإن سعداً الباكستاني قد اعترف أمام الإخوة بعدما ضُيِّقَ عليه في عنبر اسمه (عنبر روميو) بأنه أحضر إلى غوانتنامو لمهمة معينة. وأن بانتظاره بعد الخروج مهمة أخرى , هذا ما قاله بعظمة لسانه النجسة.

ولن أتكلم عن صديق التركستاني لأنه قد سبقت معنا قصته فلا حاجة لتكرارها مرة أخرى. وأما هشام الروسي فأنا لا أعرف عنه أكثر من أن الإخوة المجاهدين من الجمهوريات الروسية المتواجدون في أفغانستان قاموا بتسليمه لطالبان ثم أودع في سجن قندهار بتهمة التجسس ولما نزل الصليبيون إلى أرض أفغانستان أخذوه معنا إلى معتقلاتهم. إلا أنه أطلق سراحه مع دفعة من المعتقلين تسلمتهم روسيا. وأما بشر الراوي فإليكم بعض ما تكلم به عن نفسه. وقالت عنه الصحف البريطانية في يوم الأحد بتاريخ ٢٩ يوليو ٢٠٠٧: (يروي بشر في لقاء مع ديفيد روز نشرته الأوبزيرفر والديلي أون صنداي, رحلته من مُخبر لجهاز الأمن الداخلي MI٥ إلى معتقل خليج غوانتنامو ويتهم الراوي جهاز المخابرات الداخلية البريطانية بالخيانة, فيقول إن وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية سي آي إيه اعتقلته تقريبا بأمر الإم آي فايف, التي تجاهلته وخذلته وتركته لمصيره عام ٢٠٠٣, باعتباره مواطنا عراقيا. ويحكي الراوي عن رحلته من بريطانيا إلى معسكر الاعتقال الأمريكي في غوانتنامو حيث سيمكث إلى حين الإفراج عنه وإعادته إلى مهجره البريطاني. ويقول الراوي إنه تعرض للتعذيب خلال الرحلة بين بريطانيا والمعتقل ـ الراوي الذي كان «واسطة بين جهاز الأمن الداخلي البريطاني و خطيب المسجد أبو قتادة [أي أنه كان جاسوسا عليه لصالح الاستخبارات البريطانية] الذي يقضي عقوبة بالسجن في بريطاني ا»ـ كشف عن هذه المعلومات لصحيفتين بريطانيتين, بغرض «لفت الانتباه» إلى صديقه ورفيق المعتقل جميل البنا, الذي لا يزال معتقلا في غوانتنامو). هذا ما حكاه هو عن نفسه , ألا فلعنة الله على الظالمين.

– علي عبد المطلب عويد حسان الطائي هكذا نشر البنتاغون اسمه. وأما ما قاله هو بنفسه قبل أن تتضح لنا عمالته أن اسمه علي طالب. وهو من سكان بغداد وأما أصله فمن الناصرية. كان عليٌّ مع المجاهدين العرب في شمال أفغانستان. وبعد انسحابهم من الشمال ألقيَ القبض عليه مع من تبقى حيا من المجاهدين في قلعة جنك في مزار شريف. وكان فيما يقصونه عنه أنه من أول الخارجين من القلعة. من أجل هذا كنا نحسن فيه الظن ونظنه بأنه منا وفينا. ولكن حصل شيء نفر الناس منه شيئا فشيئا إلى أن انكشف أمره وسقط قناعه.

وهذا الأمر هو أن قيادة القوات الصليبية في مطار قندهار, كانت تجري في داخل المعتقل عمليات تنقلات للمعتقلين بشكل مستمر كل بضعة أيام. وفي غالب تلك التنقلات يكون هو أحد المنقولين من خيمة إلى أخرى. فكانت كثرة تنقلاته ملفتة للنظر بالنسبة لنا. بالإضافة إلى أن الإخوة الذين يعرفونه أنكروا تغيره كثيرا ومن أحواله. إلى أن تبين لي فيما بعد والله أعلم , بأنه كان ينقل ليرى أكبر عدد من المعتقلين ليتعرف عليهم. وليوصل كل ما يسمعه من كلام الأسرى. فقد كانت التحقيقات في أولها. وأي معلومة يحصلون عليها في ذلك الوقت تعتبر مهمة للغاية. فهم يحاولون أن يظفروا بأي شيء عن أي معتقل سواء له قيمة أم لا ؟ وقد تساعدهم تلك المعلومة في القبض على شيخ المجاهدين أسامة بن لادن الذي أذاق الصليبيين مرارة الهزيمة. ثم بدأت أموره تسوء أكثر فأكثر, ورائحته تنتشر أكثر وأكثر. فأخذ يتثاقل عن الصلاة وينام في وقتها. وفي مرة من المرات نصحه أحد الإخوة بأن يقوم ليصلي معنا في الوقت , فقال له ليس لكم أي علاقة بي. فأنا أصلي متى أشاء. ثم حذر الإخوة فيما بعد ذلك الناصح من الاحتكاك به مرة أخرى , فتجنبه وتجنبه غالب المسلمون هناك, إلا من لم يعرف حالة.

وبعد ذلك بفترة أنتشر خبر بين المعتقلين بأن عليا تنصر وخرج من الملة. واعترف هو بنفسه بصحة هذا الخبر. بل وصار يحاول تحريش الجنود على الأسرى بقوله : هؤلاء يعادونني لأني أصبحت نصرانيا إلا أن هذا التنصر وتلك الحيلة لم تنفعه بشيء. وساءت حالته أكثر. بل أصبح يترقى في مراتب الكفر والزندقة والعياذ بالله إلى أن وصل به الأمر إلى أنه سب الله تبارك وتعالى أمام الأسرى. وزاد على ذلك أنه أصبح يسب الصحابة وأمهات المؤمنين وعلماء السنة. وعلى وجه الخصوص صار يلعن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه. وهذا بلا شك ليس بمستغرب على رجل سب

اللّه جل وعلا. فقد أزاح قناعة وكشف عن وجهه الحقيقي بأنه رافضي اثنى عشري. وبَيّن بأن هذا هو مذهبه الحقيقي. مما يدل على انه لم يكن من المجاهدين طرفة عين. لكنه واللّه أعلم كان عميلا مدسوسا يعمل لصالح جهة معينة تأتي بأخبار المجاهدين العراقيين فتستر بشخصية إنسان مجاهد لتسهل عليه مهمته. وكثرة تحول وتلون دينه (ظاهرا لأنه في الحقيقة من غير دين) من رافضي إلى سني إلى نصراني إلى ملحد لا يدين بدين بل يسب اللّه إلى رجوعه للرفض والمجوسية مرة أخرى , يدل على أنه إنسان ليس عنده مبدأ فهو يدين ويتبع مصلحته فقط أينما كانت. وهذه الملاحظة دفعت أحد الصليبيين لأن يقول بكل صراحة : نحن نعرف أن هذا الإنسان حقير.

لذلك كان من السهل عليه أن يصبح عينا ساهرة للأمريكان تتجسس على الإخوة. وإذا أراد العدو إيذاء أحد من المعتقلين وضعوه عند ذلك الخبيث. فيسب أباه وأمه صباحا ومساءا ويسب دين اللّه وأمهات المؤمنين. لكن مع كل الخدمات التي كان يقدمها ولا زال إلى الآن هو وأصحابه , فالصليبيون غير راضون عنهم جميعا. بل في بعض الأحيان ينكلون بهم ويعاقبونهم عقوبة شديدة. فكانت حاله وحال غيره من الجواسيس عبرة من العبر التي أرانا إياها ربنا تبارك وتعالى في ذلك المكان بأم أعيننا. فقد أرانا سبحانه وتعالى أن ذلك الإنسان جعل الدنيا أكبر همه وكان حريصا عليها ويقدمها على رضى اللّه. وقد حاول إرضاء البشر بغضب اللّه. فسخط اللّه عليه وأسخط عليه البشر وسيبوء بخسران الدارين إن لم يرجع عن غيه ـ ومما رأيته بأم عيني وما عرفته من شأنه فأنا أظن بأنه لن يرجع ـ ولم ينل منها ما كان يحرص عليه. بل إن اللّه عامله بخلاف قصده فغالب الإخوة الذين كان يسعى جاهدا ضدهم خرجوا من غوانتنامو وهو لا يزال قابعا في ذلك المكان بحسرته على الدنيا وفواتها عليه.

– أبو فاطمة هو أثنى عشري عراقي يقيم في أفغانستان. يتكلم الفارسية بطلاقة ويزعم بأنه تاجر يستورد السيارات من الجمهوريات الروسية , ثم يبيعها في أفغانستان. والعجيب في شأنه أنه يشتكي في نفس الوقت من سوء حالته المادية. ولم يكن له أقارب في أفغانستان ماعدا رجلا واحدا رافضياً مثله. وهذا يعرف من اسمه فإن اسمه حسن عبد السيد. وحسن هو ذاك الخبيث الذي قطّع المصحف ورماه في الخلاء.

وقد كان الأسرى يستغربون من تناقضات قصة أبي فاطمة. فإنه لم يكن له أقارب في أفغانستان ليرحل إليهم. وهو ليس بمجاهد ليسافر إلى أفغانستان من أجل أغراض نبيلة !. بل هو رافضي حتى النخاع يسب الصحابة وأمهات المؤمنين جهارا نهارا , كما سمعته شخصيا يفعل ذلك , في الوقت الذي يشتكي فيه رافضة أفغانستان من سوء أوضاعهم الحياتية هناك ؟ فما الذي يدعوه للاستقرار في أفغانستان مع تعصبه لمذهبه المجوسي , ثم يزعم بأنه يقيم في أفغانستان بصفة تاجر , في نفس الوقت الذي يهرب فيه من كثير من أهلها طلبا للمادة ؟! , ويدعي كذلك بأن ظروفه المادية منهكة ؟ بالإضافة إلى حرصه الشديد بألا يعرف أحد اسمه الحقيقي مع أن الأمر انتهى وانقضى فالجميع في قبضة الأمريكان وهم يعرفون اسمه الحقيقي. ولا يوجد منا أحد يعرفه قبل سجنه بتاتا ليكتم اسمه عنه ثم هو يزعم بأنه رجل تاجر فلأي شيء يفعل كل هذه الأمنيات فنحن لم نرَ ولم نسمع عن تاجر يفعل ما يسمى بالأمنيات. تلك التناقضات والغموض الذي يلف قضيته جعل الأسرى يتعاملون معه ومع قريبه حسن بحذر شديد.

إلا أنه لم يصبر بل حن إليه عرقه , عرق العمالة , عرق أجداده الطوسي وبن العلقمي. من سب خير البشر أصحاب نبيكم صلى اللّه عليه وسلم , والتعامل مع كل عدو لهذا الدين وخدمته لمحاولة إطفاء نور اللّه. فقد تبين لنا أن هذا الإنسان كان عينا ساهرة للأمريكان. بل وصل به الأمر أنه صار يصرح بذلك جهارا نهارا. ويقول بأنه سيوصل معلومات عنا للمحققين. وأصبح يتوعد الإخوة بأنه سيفعل ويفعل , طبعا هو وغيره لم يتجرؤوا على مثل هذه الأفاعيل والأقوال من التجرؤ على دين اللّه تبارك وتعالى وقذف المحصنات العفيفات وسب الصحابة وتهديد الأسرى بأنهم سيمزقونهم ويقطعون أوصالهم والفتك بهم. إلا بعدما نقلنا إلى غرف انفرادية في غوانتنامو , كما هو معروف من حال الجبناء. وأما عندما كنا في قندهار في خيام جماعية فقد كان لعنة اللّه عليه يطيل السكوت والصمت من جبنه.

ثم استخدمه الصليبيون هو وأضرابه ومن على شاكلته , بالإيذاء النفسي للأسرى بسبهم لدينهم وللرموز المبجلة عندهم من أمهات للمؤمنين و..... , بالإضافة إلى محاولتهم لاستدراج الأسرى ليفصحوا عما في نفوسهم , بسبهم للشيخ الفاضل أسامة بن لادن في محاولة منهم لاستفزازهم ليقول أي شيء قد ينفع أسيادهم.

واستمر بهذه المهمة. إلى أن كشف اللّه أمر الخبيث وانقلب سحره عليه. فنكل اللّه به أيما تنكيل. وعامله الكريم سبحانه المنتقم لأوليائه بخلاف قصده. كما سيتبين للقراء لا حقا في قصة يا سر با سرده بإذن اللّه. وهذه المجموعة

تؤدي دورا وعملا معينا في جاسوستها وعمالتها. وهناك نوع آخر من الجواسيس كما سيأتي بإذن الله لها دور آخر.

– جاسم با سرده. هكذا جاء اسمه في كشوفات أسماء الأسرى التي أفرج عنها البنتاغون. وأما ما نعرفه نحن وما يعرفه عنه من يسكن معه في أم القرى مكة. أن اسمه ياسر با سرده وكنيته أبو محمد وليس كما أعلنه البنتاغون لكنني لا اعرف ما هو قصدهم من تغييرهم لاسمه؟. ولا أظنها إلا إنها حيلة جديدة منهم. ولكن ما يعنينا الآن هو أن ياسر با سرده رجل يمني مقيم بمكة. كانت حياته في فترة من الزمن سيئة للغاية. لكنه تاب (فيما يظهر للناس) ثم توجه إلى أفغانستان ليجاهد. وكان ضعيف الدين كما رأيته بنفسي وكما يحكيه عنه الثقات ممن خالطوه وكانوا معه في أثناء فترة تدريبه. كما أنه كان يعصي أوامر المدربين. وكان متمردا عليهم. ويثير المشاكل باستمرار. ثم توجه مع المجاهدين بعد ضربات ٩\١١ المباركة إلى تورا بورا. ففعل أيضا كثيرا من المشاكل. وبعد حصول الانسحاب من الجبال إلى باكستان. ألقي القبض عليه مع سائر الإخوة. وبسبب رقة دينه بدأ يظهر عليه علامات عدم الصبر وشدة الجزع والانتكاس والضجر من الاعتقال من أول لحظات البلاء (نسأل الله العافية والسلامة). لذلك كان الإخوة يحسنون إليه ويتلطفون معه بالقول , على أنه أخ لهم قد أتاه من البلاء ما لم يطقه , أو أنه مصاب بانهيار نفسي. فكان الجميع بلا استثناء يتلطفون ويتوددون إليه ويدارونه أشد المداراة , لعل الله أن يكشف عنه تلك الصدمة وأن ينزل عليه الصبر والسكينة. فلم يزده ذلك الرفق والتلطف إلا زيادة في عتوه وغيه وخفته وسفهه حمقه. وتضاعفت شدة جزعه لدرجة أنه بدأ يفعل أشياء مشينة مخجلة يستحي المرء من أن يتكلم بها كل ذلك طلبا للخلاص من الأسر والخروج من السجن. فتظاهر بأنه مجنون لعل العدو أن يفرج عنه بسبب جنونه. فلم تفلح تلك الخطة. ونصحه الإخوة نصيحة أخ مشفق مداري , وطلبوا منه عدم تنزيل نفسه إلى هذا المستوى فلم يُجْد فيه. واستفحل أمره أكثر وأكثر فادعى بعدما نقلنا إلى غوانتنامو بأنه أصبح على مذهب الرافضة. محاولة منه لإيهام الجنود الصليبيين بأنه ليس على مذهب الأسرى وأنه مخالف لهم في الدين ليطلقوا سراحه. فلم ينفعه ذلك. ثم كانت الطامة الكبرى فادعى بأنه هو عيسى بن مريم لإيهام من حوله من الأسرى وغيرهم بأنه قد جن حقيقة. ولكن ذلك ضره ضررا كبيرا. لأن في هذا الفعل ادعاء للنبوة, وهو إنسان كامل العقل ليس به علة. وادعائه هذا ناقض من نواقض الإيمان , (نعوذ بالله من الخذلان) فكفره طلبة العلم في غوانتنامو بعد إقامة الحجة عليه.

وبما أن الصحابة الكرام كان قد عاصروا النبي صلى الله عليه وسلم , لذلك تحس أن لكلامهم وقعا في النفس وتشعر بأن نورا وضياء يخرج منه. ومن ذلك ما روي عن عثمان بن عفان أنه قال : ما كتم رجل سريرة إلا أبداها الله على صفحات وجهه ومن فلتات لسانه , صدق رضي الله عنه. ويا سبحان الله ما أصدق هذه العبارة , فقد ظهر نتن ذلك الرجل وانكشف لكل أحد. وبدأ يظهر لجميع الإخوة بأنه متعامل مع الأمريكان ضدهم. وبأنه أعطى معلومات عن عدد كبير جدا من الإخوة المعتقلين , لدرجة أنه من كثرة الكلام الذي هذر به أسقط عدالته الجاسوسية عند المحققين. ومن شدة غبائه بدأنا نلاحظ عليه بأنه عندما يتحدث شخصان من الأسرى فإنه يرخي أذنيه (قبّحهما الله) ويسكن عن الحركة, ويدنو من الفتحة التي بباب زنزانته لعله يلقط أي شيء من المحادثة فيوصله إلى أسياده الجدد. يريد بذلك أن يبين لهم بأنه موظف جديد مجتهد ومُجِـدٌّ في عمله الجديد , وأنه يستحق مكافئة الخروج من كوبا. ثم تقلبت به الأحوال وزاد ارتكاسه وانتكاسه وتوغله في البحر الذي لا ساحل له , بحر الجاسوسية. إلى أن صار أداة بيد الأمريكان يستخدمونه كيف شاءوا فيضعونه بوسط أي دفعة جديدة تأتي إلى المعتقل يسمع لهم ما يقولونه. أي أنه صار كجهاز رصد وتسجيل!!!!!. وتردت حالته من بعد انتكاسته فأصبح يسمع الكلمة فيكذب معها آلاف الكذبات أي أنه أخبث من حال الشيطان مسترق السمع الذي يسمع كلمة واحدة فيلقيها إلى الكاهن ومعها مئة كذبة , نعوذ بالله من الخذلان.

وبما أنه صار مكشوفا وبدئنا نحذر منه. لذلك كان يسمي نفسه بياسين بدلا من ياسر بين من لا يعرفونه. وهذا من باب تغيير شخصيته على الإخوة الجدد. ثم لما استفحل أمره وعظم ضرره وأيِسَ الإخوة من عودته إلى حظيرة الإسلام مرة أخرى. بدأ الأسرى يقنتون عليه في الصلوات الخمس. لذلك احترق كرته بين الأسرى تماما. فما أعظمها من عبرة , إنه فعل كل ما فعل , ليخرج من الأسر. ولو كان ذاك الخروج يصحبه سخط الله. ولكن مَكَرَ الله به بسبب مكره الخبيث. فجعل جزائه من جنس عمله , وسلط عليه الصليبيين , فاستغلوه أسوأ استغلال وامتهنوه أشد امتهان , واحتفظوا به كشاهد إثبات. لذلك لم يكافئوه بالخروج من المعتقل على كل ما قدم لهم , مع أن الآخرين ممن لم يبيعوا دينهم مثله بدؤوا بالخروج على دفعات.

وبما أن عدو الله فضل الدنيا على الآخرة , واستبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير فلفظَهُ الإخوة بقوة وبشدة. لذلك أنشأ علاقات وطيدة مع المجوس عليٍ وأبي فاطمة والمجوسي أركان العراقي وغيرهم من العملاء. إلا أن أولئك العملاء لمّا لم

تكن صحبتهم لله. لذلك قد كان كل واحد منهم يخاف من الآخر ويحذره. ويتوجس منه خيفة. فكان كل واحد منهم يعرف بعض الأسرار عن الآخر. ولكنه يحتفظ بها لوقت يحتاج إظهارها فيه. لهذا استطاع ياسر بطريقة أو بأخرى أن يحصل على بعض المعلومات عنهم فاحتفظ بها, مما كان ذلك بحمد الله سببا لحصول كثير من الخلافات فيما بينهم. خاصة بعدما صاروا يسكنون في آخر الأمر في غرفة واحدة في المعسكر الرابع (وهو معسكر جماعي). وأدت تلك الخلافات بفضل الله وكرمه , إلى حصول اشتباكات بالأيدي فيما بينهم. فشفى الله بذلك صدور قوم مؤمنين وأذهب غيظ قلوبهم. مما دفع الأمريكان لأن يفرقوا فيما بينهم. فنقل ياسر على إثر ذلك إلى عنبر من عنابر العقوبات. ولم تنفعه جاسوسيته بشيء. وأصبح حاله كحال أي أسير من أسرى غوانتنامو. فقام أحد الإخوة وانتهز الفرصة لينبه ذلك الخبيث. وليقيم عليه الحجة , لعله أن يتوب , فألقى خطبة قصيرة موجزة. فتكلم فيها ونصح ووعظ جميع الإخوة الذين معه في عنبره. وكان مضمون ما قاله : إخواني الأفاضل اعلموا بأن الله جعل بعض البشر شياطين , وسماهم شياطين الإنس , قال تعالى ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا ﴾ واعلموا أن هؤلاء الشياطين يحاولون غوايتكم بالوسوسة لكم بتزيين الكفر والمعاصي , ويعدونكم بأنهم سيعطون من يتعاون معهم عطايا جزلة ولجوءا بعد خروجه من المعتقل في أي بلد شاء. وما هذه إلا وعود كاذبة تعقبها خسارة الدنيا والآخرة , ولتعلموا بأن تلك الوعود كاذبة. انظروا إلى قصة شاه إيران فقد كان أكبر عميل للأمريكان في الشرق الأوسط (كما يسمونه في إعلامهم الكاذب) أتدرون أن الشاه بعدما حصل عليه انقلاب في إيران أتدرون أنه مات في المنفى. ولم يعطى لجوءً في أمريكا. ذلك البلد الذي كان يعمل له ويخدمه , فقد ألقوه كما يلقي الرجل الفاجر المرأة الفاجرة بعدما يقضي معها شهوته المحرمة. وبما أن عدو الله با سرده كان يستهزأ بالأخوة لأن الصليبيين قبضوا عليهم , فقد قال ذاك الأخ في كلمته: والله يا إخواني إنكم أسود , ولا تظنوا بأن الأسد لا يصيبه رعب ولا خوف أو أنه لا يأسر. بل لا يوجد شيء لا يصيبه خوف. أليست الأسود تحبس في الأقفاص كما شاهدتم ذلك في أعينكم؟. والأسد يخاف ويصاب بالرعب في بعض الأحيان. ألا ترون في الأفلام الثقافية بأن الصياد يطلق بضع رصاصات على الأسد ليرهبه بها. فيجري الأسد ثم يقف وينظر من بعيد لذلك الصياد وهو يمسك سلاحه ألم تروا هذا؟. ولكن مع كل هذا فالأسد أسد وهو رمز الشجاعة. واعلموا أن بعض العلماء يقول بتعريف الشجاعة : أنها هي الصبر في مواطن الخوف . فلله دركم يا أيها الأسود.

وكان الخاسر ياسر يسمع كل الكلام. ولكنه لم يتلفظ بأي كلمة وفي نفس فترة اشتداد الخلافات بين الجواسيس. قرر الأمريكان الإفراج عن أبي فاطمة , فيما يظهر للناس. ولعلهم في الحقيقة كانوا يريدون استخدامه في مكان آخر. ومما يقوي هذا الظن , أن الصليبيين لا يرحلون أحدا إلا لبلده الأصلي. كما هو حال الإخوة التوانسة والمصريين والطاجيكيين وغيرهم ممن يعتبر وضعهم خطير للغاية في بلدانهم. فلمَ يرحل أبو فاطمة مع الأفغانيين. ولم يستثن أحد من قرار ترحيل المعتقلين المفرج عنهم إلى بلدانهم في ذلك الوقت , إلا ستة أشخاص أصدرت فيهم المحكمة العسكرية قرارا بذلك. ولم يكن هو من ضمن الستة. وكان ذلك الترحيل سيتم مع دفعة من الأفغان قد تقرر خروجهم من المعتقل . فأعطاه الأمريكيون الملابس التي سيخرج بها. ثم أتت الحافلة التي ستنقلهم من القاعدة العسكرية إلى المطار العسكري. فركب بها الجميع , وانطلقت بهم نحو إلى المطار. ولكن حدث أمر غريب فقد سافر الجميع ورجع أبو فاطمة. ولم ندر ما هو سبب رجوعه في أول الأمر. ولكن عرفنا فيما بعد من قريب أبي فاطمة حسن عبد السيد عندما حاول أن يظهر لنا بأنه تائب. وبأنه مسلم سني. فأظهرنا له بأننا قبلنا توبته. وبأنه أصبح أخا لنا (إلى أجل معلوم ,وهذه الأخـوَّة فيما يظهر للناس فقط). فسألناه عن أبي فاطمة وما حصل له مما كان سببا لانهياره وخيبة أمله. فقال لنا : عندما انطلقت الحافلة إلى المطار. في تلك اللحظات تم استدعاء ياسر إلى التحقيق. وأخبره المحقق بأن أبا فاطمة خرج , وهو الآن في طريقه إلى الطائرة. وكان المحقق يريد من ذلك حثه على بذل المزيد من الخدمات. فقال لهم ياسر: لا تخرجوه فهذا رجل خطير. وأدلى ياسر بكل ما كان يدخر من معلومات ليومه الأسود (بالنسبة له) دفعة واحدة. فأخبَر المحقق بأن حقيقة أبو فاطمة أنه مهندس دبابات. وبأنه مرسل من قبل الحكومة الإيرانية كعميل لهم ضد طالبان. وبأنه استطاع فعلا أن يُكـوِّن علاقات. وأن يتغلغل في صفوف الطالبان في مزار شريف. وأن كنيته في أفغانستان أبو عبد الله. فأرجعه الأمريكان فورا من عند باب الطائرة فانهارت نفسيته , بعدما طار الأفغان. ففرح الإخوة أيما فرح. وهنا فقط عرفنا اسمه الحقيقي (جواد جابر) من حسن عبد السيد. ولم نكن نعرف اسمه لمدة ٤ سنوات. ولم يخبرنا حسن بكل ذلك (أي بحقيقة الأمر) إلا بسبب خلاف حصل بينه وبين قريبه جواد (أبو فاطمة).

وهنا أذكر فائدة مأخوذة من قصة جواد. وهي أن من يريد أن يرسل جاسوسا يتجسس على أمر ما , فلا بد أن يكون هذا الجاسوس عنده خبرة في الأمر الذي يريد أن يتجسس عليه. فلا يصح لمن أراد أن يتجسس على اقتصاد بلد مثلا أن يرسل عسكريا ليقوم بهذه المهمة. ومن أراد أن يتجسس على أمر عسكري فلا يصح أن يرسل خبير اقتصاد ليقوم بهذه

المهمة. لذلك تم اختيار أبو فاطمة بسبب خبرته العسكرية لتلك المهمة. مهمة معرفة قدرات طالبان العسكرية.

– عبد الحكيم البخاري مواطن من مملكة آل سلول. وهو من سكان الطائف. يقول من يعرف تاريخه القديم: كان عبد الحكيم جاسوسا قديما للحكومة السلولية على المجاهدين منذ أيام الجهاد الأفغاني الأول. إلا أنه هرب وولى الدبر بعدما كشف أمره. ثم لمّا نسي الأمر بمرور السنين أرسل لتتبع أثر صديق التركستاني الذي أرسل لتصفية الشيخ الفاضل أسامة بن لادن لمّا انقطع خبره في أفغانستان. ولكنه بعد دخوله لأفغانستان وجلوسه مع أحد كبار المجاهدين في جلسة عامة. تفرس فيه ذلك القائد بأنه جاسوس لـَمّا رأى طريقة حديثة. فألقي القبض عليه وحقق معه ثم تبين بعد التحقيق معه بأن هذا التفرس كان في محله. واعترف بأنه عميل. ثم أودع في سجن قندهار. إلى أن جاء الصليبيون ونقلوه إلى معتقلاتهم. وبسبب قلة خبرة غالب الأسرى في التعامل مع أولئك النوع. ولأن بعضنا لا يعرف الملابسات الكاملة لقضيته. لذلك كان الموقف منه غير موحد. فاستغل هذه الفرصة. وهذا التساهل في التعامل معه , ليعاود مزاولة أنشطته من جديد. بعد أن تظاهر بأنه إنسان ظلم بتلك القضية. وقد كلف ببعض المهام الجديدة في المعتقل بالإضافة إلى عمله السابق .والمهام الجديدة هي كالتالي:

١ـ استدراج الإخوة صغار السن. بتزيين المعاصي لهم , وحثهم عليها , ليتم ابتزازهم بعد إسقاطهم في الفخ.

٢ـ إثارة المشاكل مع الجنود لأسباب تافهة. محاولة منه لاستفزاز الأسرى واستثارتهم ليجرهم إلى مصادمات مع الجنود, ليعطي إدارة السجن مبررا لتشديد الإجراءات على المعتقلين. أي أنه يقوم بمهمة العميل المحرش التي ذكرناها في الفصول المتقدمة.

٣ـ بث الإشاعات عن بعض الإخوة الأفاضل ومحاولة تشويه صورهم.

وكان بعبد الحكيم صفتان:

١ـ قوة حافظته. لدرجة أنه يذكر قصصا وقعت منذ عشرات السنين. وهذه الصفة , هي شرط في كل جاسوس. فما قيمة جاسوس شديد النسيان.

٢ـ شدة خفته وتسرعه. فأقل نرفزة يتعرض لها من قبل الإخوة تجعله يتكلم بكل ما يعرف. مما كان لهذه الصفة أثر كبير في انكشاف أمره. لذلك بعدما واجهه الإخوة أمام الجميع ببعض إشاعاته التي كان يبثها لتشويه سمعة أحد الفضلاء , وعن محاولاته لاستدراج بعض الإخوة. فرأى أن أمره قد كشف من جديد. حاول أن يناور علينا , ويظهر لنا بأنه تائب من جديد. إلا أن الإخوة كانوا أذكى منه , فأظهروا له بأنهم قبلوا توبته , بشرط أن يخبرهم عن الأشخاص الذين وشى بهم عند الصليبيين. لتكتمل توبته ويسامحه الإخوة. فقام وأعلن أمام الجميع في عنبر روميو , بأنه تكلم عن فلان وفلان , ولكنه حاول أن يبرر تجسسه عليهم بمبررات لا تسمن ولا تغني من جوع. ثم عدد بعضا من أعماله الإجرامية بناء على أسئلة موجهة من الإخوة له. فقد كان الإخوة يسألونه وهو يجيب. ثم توقف قليلا ليستريح. ولكنه انتبه لخطئه الفادح. لذلك عمل عملا معينا ليهرب من العنبر ونجحت خطته , ولكن بعدما فضح أمره لكل أحد , بحمد الله.

– سعد الباكستاني إنسان مجهول الهوية. لا أعرف ما هو اسمه الحقيقي ولا بلده الحقيقي. فأنا لم ألتقي به إلا في المعتقل. وهو من الدجاجلة الكبار الذين لا يشق لهم غبار, لم أرَ أكذب ولا ألئم منه ولا مساوٍ له. إلا أركان العراقي , فإنه من نفس طبقته وله مثل درجته. لذلك أنا لا أقبل أي رواية يرويها لا عن نفسه ولا عن الآخرين. لقد كان حال سعد كحال أي جاسوس فهو يتصف بصفة الكذب إلا أنه يكذب الكذبة أمامك ثم ينكرها في نفس اللحظة ويجحدها بكل وقاحة وصفاقة وجه. بل ويظهرك أمام الناس بأنك أنت الكاذب وهو الصادق. ومن عجيب أمره أنه يستطيع الكلام بعدة لغات. وهو يتكلم بلسان أهل الحجاز بطلاقة بل وعنده علم بعلم قراءات القرآن وقد سمعته شخصيا يسأل عن بعض القراءات فيصل في الجواب , وله صوت جميل عند قراءة القرآن , لذلك كان يتعمد رفع صوته بالتلاوة ليفتن الناس فيه. فيا سبحان الله ما أصدق قول ابن عباس (رب قارئ للقرآن والقرآن يلعنه) وبما أن جميع من كانوا في غوانتنامو كانوا من الأسرى , لذلك هم لا يملكون من أمرهم شيئا. وليس لأحد سلطان على أحد. وبما أن من الأسرى الإنسان الواعي الفاهم الذي يعرف الجواسيس وطرقهم في التلاعب. وفيهم من يتصف بخلاف ذلك كما هي سنة الله في خلقه. لذلك استطاع سعد أن يحدث انشقاقا في صفوف الإخوة في موقفهم تجاهه. إلى أن كشف الله أمره وفضحه للجميع وله

الحمد , وصار أمره واضحا جليا لا يخفى على أحد. ولكنه مع تلك الفضيحة لم يترك عادته السيئة من الكذب كما سيأتي في سيرته المشوهة بإذن اللهّ.

وإليكم قصته:

كنت في أحد العنابر فسمعت صوت سلاسل قادم إلى العنبر فعرفت أن معتقلا سيدخل علينا في العنبر. فنظرت من فتحة بالباب فرأيت رجلا غريبا لم أره من قبل ولم أطمئن لوجهه. فسألته وهو يمشي من أنت. فقال: أنا أخوك سعد المدني , فسلمت عليه كما هي عادتنا هناك. وما أن دخل غرفته حتى بدأ يتكلم معنا بكل طلاقة وكأنه زميل قديم. وصار ينقل لنا كل الأخبار أو الإشاعات التي يعرفها. فكان من تلك الأخبار ما يتعلق بأبي زبيدة فرج اللهّ عنه. ومنها ما يضعف الهمة ويصيب بخيبة أمل وإحباط , فقلت لإخواني لا تلتفتوا لمثل هذه الأخبار ولا تناقلوها وعيشوا حياتكم في هذا السجن بشكل طبيعي.

وكان نقله إلينا في وقت كانت أعمال الشغب فيه في ذروتها لأن الصليبيين طبقوا علينا عقوبات جديدة يأخذون بها الملابس ويتركون الأسير المسلم بسروال قصير لا يستر عورته في صلاته. ثم بدأ أحد الإخوة يسأل ويتقصى عن هذا الرجل. وهل هناك أحد يعرفه. فأستطاع أن يجمع عنه بعض المعلومات. فكان من تلك المعلومات. أن سعدا موجود منذ فترة وقد ثارت حوله بعض الشكوك. وكانت قصته فيها نوعا من الغرابة (لأنها قصة جاسوس) فهو رجل باكستاني ويكني نفسه بالمدني , وأمه ماليزية , وأما أبوه الباكستاني فقد كان يعمل سفيرا لمملكة آل سلول في أحدى الدول الأفريقية ؟!. ويقول بأنه يعمل كصحفي في إحدى المجلات. مع أن عمره في تلك الفترة ما يقارب ٢٢سنة ؟!. وقد أجرى لقاء صحافيا مع الشيخ بن لا دن ؟!. وقد وُجِـدَ معه في حقيبته عندما ألقي القبض عليه صورة العالم النووي الباكستاني عبد القدير خان ؟!. وأنه اعتقل بسبب توقع توقعه في مقال له بأن بعض المجاهدين سيقوم بشن هجمات على مواقع النصارى بالمتفجرات المخفية في الأحذية , فًحصل ما توقعه. لذلك ألقي القبض عليه في إندونيسيا !. ثم تم ترحيله إلى معتقل في مصر فعذب فيها عذابا شديدا. بل واعتدي على عرضه كما يقول بل ويزيد على ذلك بذكر عدد المرات التي انتهك فيها عرضه ؟!. ثم أعيد إلى قاعدة باغرام في أفغانستان ثم رُحِّل إلى غوانتنامو. ويؤيد روايته تلك , رجل عربي يحمل الجنسية الاسترالية. وهو أيضا يزعم بأنه رُحِّلَ معه إلى مصر ويزيد صاحبه الأسترالي بالإدعاء بأنه كان يعطى جرعات من المخدرات. كأسلوب من أساليب المحققين ليدفعوه إلى الكلام , هذا مجمل ما كانا يزعمانه. ومن أجل أن يقوم سعد بمهمته على أكمل وجه وبسهولة , وليُلَبِّسَ على الإخوة ـــ وقد فعل ـــ قام الصليبيون بإجراء عملية نقل مستمر له من غرفة إلى غرفة شبيهة بالتي تعملَ للأسرى ليوهموا الأسرى بأنه إنسان مبتلى وممنوع من النوم مثلهم. ولكن ينبغي أن يعلم بأن الإخوة يتم نقلهم كل ٣٠ ـ ٦٠ دقيقة وأما هو فينقل كل ٣ ـ ٤ ساعات. مما يعني أنه ينال قسطا من الراحة بخلاف الإخوة. ثم إن الإخوة الذين يستخدم معهم ذلك الأسلوب عندما يؤخذون إلى غرف التحقيق يربطون ربطة مؤذية ليَشُقَّ العدو عليهم أكثر. وأما هو وصاحبه فإنهما يؤخذان ليناما على الأسرة لساعات طويلة بعيدا عن أنظار الأسرى كما اعترف سعد بهذا فيما بعد. بالإضافة إلى أنني بعد خروجي من هناك قرأت خبرا عنه في وكالة : السي أن أن وإليكم هذا الخبر (وقال باكستاني يبلغ من العمر ٢٨ عاما إنه تمّ اعتقاله في إندونيسيا حيث سافر بعد وفاة والده الدبلوماسي السعودي. وقال إنه يتحدث تسع لغات وأنّه تمّ في إحدى المرات التقاط صورة له مع العالم النووي الباكستاني عبد القدير خان).

وهذا مما يؤكد بأنه جاسوس يراد تلميعه لأمر ما كما سيأتي من اعترافاته. تلمعه الوكالة الصليبية بواسطة تلك المعلومات المغلوطة المنشورة عنه , لينخدع به المسلمون. ولكن يمكرون ويمكر اللهّ واللهّ خير الماكرين. فقد سلط سبحانه بعض الإخوة على ذلك الدجال ليكشفوا أمره لكل أسير. بعدما هتك سبحانه وتعالى سترة بِـعِدَّة رؤى. فالرؤى من جنود اللهّ ينبه بها سبحانه أوليائه. لذلك يروى أن سعدا رأى رؤيا فقصها لجهله على أحد المؤولين. وكان مجمل رؤيته أنه رأى رجلا يوزع على الإخوة مصاحف. وعندما جاء هو ليأخذ مصحفا امتنع من أن يعطيه مصحفا. فأمره المؤول بتقوى اللهّ لأنه رجل أتى أمرا عظيما , (هذا معنى الرؤيا والتأويل). وأيضا سمعته بنفسي يقص رؤيا على أحد المؤولين. وكان مجملها أنه رأى والده , ورأى أنه يتشاجر ويتخاصم مع والده ويصرخ عليه. فقلت في نفسي ـــ مع أني لا أعرف التأويل ـــ هذا إنسان عاق. فصدق ما وقع في نفسي لأمر أخبرني عنه بعض الإخوة فيما بعد.

ثم قام أحد الأسرى فنصح إخوانه بالحذر من هذا الرجل لأنه رجل كذاب. ومما يدل على أنه كذاب دجال , أنه من غير المعقول أن تقوم دولة آل سلول بتعيين سفيرا من الجنسية الباكستانية ليتكلم بالنيابة عنهم ؟!. فهل هناك نقص في

عدد مواطني تلك المملكة؟ وهل هم إلى هذه لا يجدون من يقدم لهم تلك الخدمة. ويتمنى أن يحصل على هذا المنصب كما هي عادة عُبَّاد الدنيا ؟. ثم كيف يقوم شاب عمره ٢٢ سنة (في ذلك الوقت) بعمل لقاء صحفي مع الشيخ بن لادن ولصالح مجلة لم نسمع عن اسمها ؟!. في نفس الوقت الذي يستميت فيه أكبر الصحافيون والإعلاميون في العالم لإجراء أي مقابلة مع الشيخ كسبق صحفي تاريخي!. ثم إن الشيخ مطارد دوليا , فهل يأتيه مثل هذا الإنسان المغمور النكرة. ويجلس معه بكل هذه السهولة. بل ويتحدث بهذا الأمر ـ أي بجلوسه مع ابن لادن ـ أمام الناس بهذه البساطة؟. ثم قال ذلك الأخ: يا إخواني هل تصدقون بأن هذا الشاب صاحب الـ(٢٢) عاما له علاقة تربطه بعبد القدير خان. أتدرون أن مثل تلك الشخصيات تعتبر من أهم شخصيات الدولة , لدرجة أن أهميتها قد تعادل أو تزيد على أهمية رئيس الدولة , والذي أظنه والله أعلم أن من أراد أن يلتقي بمثل هذا الشخصيات لا بد أن يأخذ تصريحا من الأجهزة الأمنية للبلد ليتمكن من الجلوس معه. ولو كان ذلك الطالب وزيرا (ثم إن هذه الشخصية لا يسمح لأي أحد أن يلتقط له صورة إلا إذا كان هذا اللاقط خِفْـيَةً جاسوس حقيقي).

وواصل ذلك الناصح قائلا: إن أخاكم فلان عندما ألقي القبض عليه مع أبي زبيدة. أراد المحققون تخويفه وإرعابه والإرجاف فيه بوضعه مع سعد في نفس غرفته ليدفعه للكلام على إخوانه. وقد فعل سعد ذلك فحاول إدخال الرعب إلى قلبه بقوله: لقد رجعت قبل فترة وجيزة من مصر وقد فعلوا بي كذا وكذا من لواط وتعذيب وتجوع (وهذه مهمة سعد في كوبا الإرجاف والتخويف). بل وزاد الأمر بأنه أخرج للأخ الفاضل ورقة. وقال له هذه الورقة هي عقد عمل بيني وبين الأمريكان (على الجاسوسية) فقد تعاقدت معهم للعمل. مع أن هذا الأمر لا يحتاج لتوقيع ورقة. ولكنه أراد أن يجس نبض الأخ بعد تخويفه من مصر هل يقبل بأن يتعامل معهم أم لا؟. وقد عرف الناصح هذه القصة من حديث الأخ نفسه. ثم قام أخ آخر فقال يا إخواني لقد قبض على بعض الكبار من الطالبان والقاعدة , كخالد الشيخ وبن الشيخ الليبي ورمزي بن الشيبة , وشخصيات كبيرة في أجهزة استخبارات الطالبان وغيرهم , لكنهم لم يرحلوا إلى مصر. بل رحلوا إلى القواعد الأمريكية في المانيا الشرقية , وباغرام وغيرها من الدول. ثم تولى التحقيق معهم الأمريكان. فما الداعي لأن يقوم العدو بترحيل سعداً الذي يبلغ من العمر ٢٢ سنة إلى مصر بصحبة زميله. وممارسة كل هذا التعذيب لهم هناك. مع أنهم ليس لهم أي سوابق جهادية بل إن صاحبه الأسترالي غير ملتزم أصلا وهو يشرب الدخان. ثم أني ـ والكلام للناصح الثاني , وسعد يسمع كل هذا الكلام رأيت سعدا في با غرام وكان عند سعد صحفاً ومجلات في ذلك المعتقل ليقرأها باستمرار وهذا شيء يستحيل حصوله لأي أحد. بل إن عبد السلام ضعيف الذي يعتبر رجلا دبلوماسيا (لأنه سفير حكومة طالبان لدى باكستان) لا يُعطى مثل هذه الصحف. وكان حاله كحال باقي المعتقلين. بالإضافة إلى أنك يا سعد كان يسمح لك بتخزين الطعام في غرفتك مع أن هذا ممنوع على جميع المعتقلين. فكيف يسمح بمثل هذا لشخص يُعَذَّب. ثم إنك كنت سمينا (ثقيل الوزن) عندما كنا في با غرام مع أن الإنسان الذي يتعرض للتعذيب القاسي العنيف الذي مررت به بزعمك , لابد أن يكون نحيفا بسبب حالته النفسية. فكيف يتعرض إنسان لمثل ذلك التعذيب الذي تذكره. ويستطيع أن يأكل الطعام بشراهة. فانتبهوا يا إخواني ما هذا الرجل إلا كذاب جاسوس , يضخم نفسه بتلك القصة ليستطيع الدخول بينكم.

ولكن للأسف كانت ردة فعل بعض الشباب ـ وليس الكل ـ أنهم قالوا للمتكلميْن نريد بينة أكثر وضوحا. فأجابا بأننا في مثل هذا المكان لا نستطيع أن نأتي بقرائن أكثر من هذه. لأن من أراد أن يقبض على الجاسوس متلبسا في مثل المكان الذي نحن فيه , معناه أنه لا بد أن يذهب إلى غرفة التحقيق ويجلس مع العميل ومن جَنَّدَهُ ليسمع ما يقولان لبعضهما وهذا مستحيل الحصول. ولكن أتدرون ماذا كانت ردة فعله هو نفسه. لقد أنكر هذه التهمة في أول الأمر , قائلا أسأل الله أن يُحَرِّم علي الجنة إن كان هذا الكلام صحيحا. ثم قذف أمه بالزنا إن كان هذا الكلام صحيحا وكان هذا بسمع مجموعة من الأسرى (أقول هذا لتعرفوا مدى كذب الجواسيس , فلا تأخذكم بهم رأفة ولا تحسنوا بهم ظنا) إلا أن الله الذي أنطق كل شيء أنطقه فتراجع عن ذلك الإنكار بسبب أمر حصل له لا أستطيع ذكره الآن. لكي لا أضر بإخواني الأسرى. فنطق الدجال بالحقيقة أمام عدد كبير من الأسرى واعترف بأن كل قصته كذب في كذب. وبأنه قام بالتبليغ عن بعض الأشخاص في اندونيسيا. وبأن له مهمة معينة في غوانتنامو وهي الإرجاف بالأسرى. وتلميع شخصية صاحبه الذي يزعم أنه عذب معه في مصر. بتصديقه فيما كان يقول , لأن لصاحبه مهمة سيقوم بها في مكان آخر بعد غوانتنامو. هذا ما قاله سعد عن نفسه وعن صاحبه. ومن المضحك في اعترافاته أنه قال هل رأيتم فلان عندما كان يضرب عن الطعام أتحسبون أنه لا يأكل كل تلك الفترة بل كان يؤتى له بطعام ليأكله عندما يذهب إلى التحقيق وأنتم لا تشعرون. ومما يدل على صحة كلامه , أنه قال بعد اعترافه للأسرى « بعد قليل سينقل فلان إلى عنبرنا هذا , لذلك أطلب منكم بأنكم لا تخبروه بما قلته لكم لأنه رجل له نفوذ ويستطيع أن يضرني» (مع العلم أن مثل هذه الأمور لا يعرفها لا المعتقل ولا الجندي الذي في العنبر. بل إن أمر النقل يأتي من إدارة السجن ومن قسم التحقيق , بشكل

مفاجئ للجميع , لأسباب تتعلق بالتحقيق). وفعلا لم يمض ذلك اليوم حتى دخل صاحبه علينا في العنبر. ولكن للأسف عندما جاء صاحبه حصل خطأ بسيطا فأفسد عملية المواجهة له بالاعترافات. فحصل قيل وقال وارتفع اللغط في العنبر , فأفلت مما أعد له. ولكن الخبيث لا يطهر. فبعد كل تلك الاعترافات التي تلفظ بها المجرم. وأمام كل ذلك الحشد من الإخوة , رجع وأنكر كل كلمة نطق بها , وكأنه لم يقل شيئا. هذا مجمل قصة الرجلين وخلاصتها.

وقبل الشروع بذكر قصة عبدالرحيم وأركانا الجاسوسان الماجنان. أعتذر لكم من ذكر بعض الأمور التي يستحي ويعف اللسان من ذكرها. ولكن ما حملني على ذلك , إلا إرادة التبيين للأخ القارئ بأن أمثال هؤلاء الجواسيس لا يعرفون المراجل ولا المروءة ولا الحياء , وأنهم قد يفعلون كل شيء من غير حد , في سبيل تجنيد أي إنسان. فاقتضى التنويه.

– عبدالرحيم عبد الرزاق جانكو. كردي سوري يقيم في الإمارات في إمارة عجمان , ويدرس اللغة العربية في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية فرع رأس الخيمة. والده رجل كبير في السن وهو إنسان ملتزم وقد أوذي قديما من قبل المخابرات السورية. وكان لعبدالرحيم علاقة وطيدة مع رجلين عميلين للحكومة للأمريكية يدرسان في نفس الجامعة أحدهما قاسمي وهو حفيد حاكم رأس الخيمة في ذلك الوقت صقر القاسمي. وأما الآخر فهو رجل يمني يقيم في الإمارات بجواز أفريقي. وهذان الرجلان قاما باستدراجه فهيئا له أجواء العهر والفساد. من سكر وزنى ولواط (يفعل , ويفعل به) وغير ذلك من الفواحش والمنكرات , وقاما بتسجيل كل ذلك بأشرطة فيديو. ثم استدعي إلى أحد فنادق رأس الخيمة , وعند دخوله لغرفة من غرف الفندق وجد بانتظاره رجلا أمريكيا يتحدث اللغة العربية. فعرض الأمريكي عليه أن يعمل معهم كجاسوس , فرفض عبدالرحيم في أول الأمر. إلا أن ذلك الأمريكي قال له: أريد أن أعرض عليك هذا الفلم , فعرض عليه ما قام به من الأفعال المشينة السابق ذكرها. ثم هدده بأنه إذا امتنع من العمل معهم , فإن هذه المشاهد سَتُعْرَضُ على والده , وبأنها ستنشر في كل مكان. فوافق عبدالرحيم على التجسس واختار خزي الدنيا الآخرة وفضيحتهما على فضيحة الدنيا فقط. وكان أجر هذه المهمة ثمن بخس دولارات معدودة مع إقامة دائمة في مكان لا يعرفه فيه أحد بعد انتهاء مهمته. ولا يخفى على أحد أن هذه الوعود الكاذبة مجرد كلام وحبر يخط على ورق, والدليل على ذلك أن عاقبته السيئة لا تخفى على أحد. فهو إلى الآن يقبع في سجون أسياده من غير لجوء كما أمِّلَ , ولم يعط حفنة الدولارات التي كان موعودا بها.

وهنا أنبه إلى أن أئمة الكفر عندما يحاولون تجنيد رجل ما فهم يحرصون أن يكون هذا المُجَنَّد من أصل طيب له تاريخه الإسلامي (إن وجد هذا) كأن يكون والده مجاهدا معروفا. أو من أسرة معروفة بالتصدق على المسلمين. أو أن تكون أسرته معروفة بالعلم ونحو ذلك. وإن لم يوجد مجند بهذه المواصفات فإن الجاسوس سيقوم بادعاء ذلك. كما فعل سعد سابق الذكر فإنه كان يحاول إظهار نفسه بطالب العلم ويزعم بأن أباه كان من عُلـْيَةِ القوم. وبأنه أديب إسلامي معروف. وكما كان يفعل أركان عندما كان يزعم بأن خاله الشيخ عبد اللّه عزام. إلى أن فضحه اللّه بواسطة أحد المعتقلين ممن هو قريب للشيخ عبد اللّه حقيقة فنفى صلة أركان بالشيخ عبداللّه عزام. وقصدهم من هذا الفعل أن يتمكن الجاسوس من التغلغل إلى أعلى الهرم الجهادي بسهولة وبسرعة بسبب مكانة قريبه بين المسلمين.

وبعدما وافق عبدالرحيم فقبل العرض وسقط في الفتنة. قام الصليبي بترتيب عملية سفره ودخوله إلى أفغانستان بطريقة ذكية تصرف الأنظار عنه. فلا يشك فيه أي أحد لأن موظفي السفارة هم الذين سيساعدونه على السفر وهم لا يشعرون. فأمر ذلك العميل الجديد عبدالرحيم أن يذهب إلى سفارة طالبان في الإمارات ويُخبرهم على بأنه يريد الذهاب للجهاد في سبيل اللّه في أفغانستان. ولكن لا يستطيع السفر بواسطة جوازه السوري لئلا يلحقه ضرر من المخابرات السورية ؟!. هكذا أوهموا من يعملون في السفارة , وفعلا ذهب إلى السفارة وأخبرهم بذلك الخبر. فطـُلِبَ منه في السفارة أن يذهب إلى شرطة دبي ليسلم نفسه على أنه أفغاني دخل إلى الإمارات بصورة غير مشروعة. وهو الآن يريد الرجوع إلى بلده , بعد هذا ستقوم الشرطة في دبي بإخطار السفارة بخبر وموضوع هذا المواطن الأفغاني (الجاسوس) ثم تقوم السفارة بإصدار وثائق السفر الأفغانية له ليسافر إلى أفغانستان. وفعلا عمل عدو اللّه كما طلب منه , ونجحت خطتهم. والسفارة لا تعلم عن ذلك المكر شيئا , فسافر عدو اللّه إلى أفغانستان , بترتيب من السفارة.

ثم وصل بطريقة أو بأخرى عند المجاهدين العرب ـــ ولكني لا أذكر بالضبط بناء على ماذا سمح له بالدخول بين المجاهدين هل هو بتزكية من أحد المخدوعين فيه؟ أم لأمر آخر , فاللّه أعلم لأني نسيت ـ وقال للإخوة المسئولين هناك بأنه قادم للجهاد. ولن يرجع إلى تلك الديار مرة أخرى فقد قرر البقاء بين المجاهدين للأبد. وأما الخبر الذي وصل لأهله المساكين المخدوعين فيه. هو أن ابنهم خرج للغزو في سبيل اللّه فيَمَّمَ تجاه أسد الشيشان خطاب , هكذا ظن أهله.

إلى أن خرج ذلك الابن الخائب الخاسر , وهو يبكي على شاشة قناة أبو ظبي الفضائية في سنة ٢٠٠٠م ويعترف ويعلن في ذلك اللقاء الذي أجري معه في قندهار عندما حاولت القناة تغطية الخبر لأن له صلة بالإمارات ـ بأنه عميل أمريكي جند في الإمارات ثم أرسل إلى أفغانستان وذكر كل ما قصصته لكم بالضبط. وكان من ذلك التخطيط الذي رسمه له الصليبي ليربطه بمسئوله داخل أفغانستان , أنه قال له إذا ذهبت إلى أفغانستان ودخلت مع المجاهدين العرب. ستجدهم يستخدمون أسماء مستعارة , ولكن بما أنك إنسان جديد وغشيم ولن يعتب عليك أحد فأنت ستسألهم عن أسمائهم الحقيقية. لأنك أخ جديد لا تعرف مثل هذه الإجراءات الأمنية. ولكن سيقوم لك من بين أولئك الناس. رجل فيشن عليك هجوما عارما (غير طبيعي) ويوبخك بشدة. فإذا رأيت ذلك فاعلم أن هذا المهاجم هو صاحبك !!!. وهو الذي ستعطيه كل ما تستطيع جمعه من معلومات. ويضاف إلى هذه العلامة علامات أخرى سيعطيك إياها فترد أنت عليه بكذا وكذا لتتأكدان من بعضكما.

وفعلا هذا ما حدث بالضبط. فقد سأل العميل الجديد فعَنَّفَــه العميل القديم وزجره على هذا الفعل. وكان هذا التعنيف أمام كل الحضور, لدرجة أن بعض من كان حاضرا لذلك الموقف. قالوا: لقد صدمنا من ردة فعل إسلام على ذلك الأخ الجديد. وقالوا : لم يكن الأمر يقتضي تعنيفه بهذه الطريقة !!. فتم بهذا التعنيف اللقاء بين الرئيس والمرؤوس , والشيطان والمارد , فلعنة الله على الكاذبين الظالمين المخادعين. فالتقى عبدالرحيم عبدالرزاق الجنكو برئيسه الشيطان الإنسي المجوسي الإثنى عشري الدعي النذل المتستر بلباس المجاهد السني الذي يتحرق لنصرة دينه : أركان محمد قافل الكريم , العراقي المُكَنّى بإسلام العراقي , ويكنى أيضا بالخطيب , ذلك الجاسوس الذي إن مكنني منه ربي , لن أرض حتى أُحَرِّقَــه بالنار بعد قتله .

ذلك الرجل الذي صُدِمَ كل من عرف بأنه جاسوس للصليبيين:

(١)لأنه كان عليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين.

(٢) جاسوس محنكا يظهر خلاف ما يبطن فقد كان يبطن الجاسوسية والرفض والعهر والمجون والفسق والبغض لدين الله تبارك وتعالى كما سيظهر للأخ القارئ الكريم. وأما ما يظهره فإنه يظهر التقوى والورع والغيرة على محارم الله لدرجة ان عدو الله كان إذا وجد الإخوة المجاهدين ينشدون في أوقات راحتهم فإنه يظهر لهم غضبه وانزعاجه ويقول لهم: أتنشدون والمسلمون يقتلون في كل مكان. ثم ينصرف عدو الله وقد أظهر عدم ارتياحه لهذا الصنيع. وقد كان الطاغية أركان يظهر للمجاهدين إشفاقه وخوفه عليهم. في الوقت الذي يقوم فيه بتبليغ الصليبيين عن أخبارهم. فإذا تحرك المجاهدون بسياراتهم من جبهة إلى جبهة وضاق المكان في السيارة بالباقين , فإن عدو الله يتشبث بحافة السيارة (البيك أب) وهي تمشي مظهرا لهم بأنه يضحي بنفسه من أجل إخوانه. يفعل كل هذا تغريرا بالمسلمين.

(١)ويقال والله أعلم بأنه كان في نفس الوقت عميلا للموساد اليهودي.

(٢) ذهب بعض أهل العلم كالإمام محمد بن عبد الوهاب إلى جواز لعن المعين إذا كان رئسا في الكفر.

وبالفعل قام العميل الجديد بتوصيل بعض المعلومات إلى الشيطان الإنسي أركان. الذي قام بدوره بتوصيلها إلى أسياده الأمريكان بحسب اعترافاتهما. ولكن بما أن حبل الكذب قصير. فقد بدا لعبد الرحيم الذهاب إلى السفارة الأمريكية في باكستان , لذلك جاء عبدالرحيم إلى أحد المسئولين وطلب منه السماح له بالذهاب إلى باكستان. فقال له الأمير : لماذا تريد الذهاب إلى باكستان. فقال عدو الله: أريد الاتصال على أهلي في الإمارات لأطلب منهم أن يبحثوا لي عن زوجة. فقال له الأمير: الهواتف توجد هنا في أفغانستان , ثم قال: ألم تخبرني قبل بأنك لا تريد الرجوع إلى بلدك مرة أخرى؟! فشك الأمير في أمره , فطلب من الإخوة تحويله إلى التحقيق. فحُوِّل للتحقيق , وهنا كانت المفاجأة فقد اعترف على نفسه , وعلى صاحبه أركان (إسلام العراقي) بأنهما جاسوسان وبأن أركان هو مسئوله. وأنهما كانا يقومان بنفس الأعمال المشينة التي سبق ذكرها بما كان يمارسه العميل عبدالرحيم في الإمارات (اللواط) , فألقي القبض على أركان وتمت مواجهته بالاعترافات لكنه أنكرها كلها. وأصر على إنكاره , ولمّا لم يجد الإخوة أي دليل عليه وبما أن الأصل أنه برئ فقد أطلقوا سراحه لعدم الأدلة. مع تقديم اعتذار له عن هذا الأمر الذي حصل. وبينوا له أن ما قاموا به هو واجبهم الشرعي تجاه كل من تقوم شبهة في حقه. ولكنه شوهد بعد إطلاق سراحه مباشرة في السوق وهو يشرب الدخان. فاستغرب الإخوة منه هذا التصرف فاستدعي مرة أخرى. فاعترف بصحة كل ما سبق مباشرة (أنطقه الله الذي أنطق كل شيء) وهنا

كانت الصدمة الكبرى لكل من سمع الخبر ممن يعرفه. بل إن بعض من سمع الخبر ممن رجع إلى دياره صعق من هول الصدمة.

وبعد انتهاء إجراءات التحقيق معهما. سلم العميلان إلى حكومة طالبان. فأودعا في سجن قندهار التابع للطلبة. فمكثا فيه إلى أن احتل الصليبيون أرض أفغانستان فقاموا بالتحفظ على عبدالرحيم. إلى أن تم نقله إلى المعتقلات الأمريكية. وأما أركان فقد فرّ من السجن بمجرد انسحاب طالبان من قندهار. وقبل خضوعه للسيطرة الأمريكية. وذهب إلى كابل , فكشف عن وجهه القبيح بكل صراحة , وصار يعمل في سجن كابل كمترجم ومحقق لقوات تحالف الشمال فإنه يستطيع أن يتكلم باللغة الفارسية والبشتونية , والإنجليزية بالإضافة للعربية. وصار يتهكم بمن في سجن كابل من المأسورين العرب. وبما أنه كان يحسن الظن بأوليائه الصليبيين , لذلك كان يقول للإخوة المعتقلين إذا ذهبتم عند الأمريكان فقولوا لهم : إن صاحبكم ـ يقصد نفسه ـ ينتظركم لتأتوه. وما درى أنهم يعدون له ما لم يخطر على قلبه , فقد تسلمه الصليبيون من المرتدين الأفغان بعد فراغهم منه. وقام الصليبيون بدورهم بنقله إلى معتقلاتهم. فأودع في السجن كباقي المعتقلين. ولو كان له قلب لاعتبر بهذه الموعظة وتاب. ولكن يبدوا والله أعلم بأن الله ختم على قلبه وسمعه وبصره غشاوة فهو لا يعي شيئا. ونستفيد من هذا الحدث أن الجاسوس لا يستطيع التوبة إذ لو كان يستطيع فعل ذلك لتاب ذلك الإنسان. لأنه ظهر له عيانا أن عمالته لن تنفعه بشيء وأن وعود من جَنـّدوه كلها كاذبة. وأنه كالذي يجري خلف سراب , وأن حال أي معتقل في معتقله خير منه بآلاف المرات. وما حصل أنه كَشَفَ لنا خسته وخبثه وزاد في طغيانه أكثر فأكثر. فقد أعلن بصراحة تامة بأنه رافض أثنى عشري وبدأ يجهر بسب الصحابة , وعلماء السنة كالإمام محمد بن عبد الوهاب وشيخ الإسلام بن تيمية. مما يؤكد بأنه لم يكن سوى مجرد جاسوس رافضي كان يحاول التستر بصورة المجاهد ليتمكن من طعن المجاهدين من أهل السنة والجماعة. ولم يقتصر على هذا الحد بل قام أركان بقيادة الجواسيس الذين التفوا حوله ليهاجم بهم الأسرى. فانطبق عليه وعليهم بهذا الفعل قول المثل «مجنونة تقود عمياء». وسار بهم إلى الهاوية. وحرضهم على التجسس وعلى كل رذيلة ونقيصة ودنية. ولكنه لمّا حصل الخلاف والشقاق فيما بينهم فانفضوا عنه , وتطور خلافهم إلى أن وصل إلى حد الاشتباكات بالأيدي , حاول أن يدافع عن نفسه ليكسر عزلته , فأظهر لنا بأنه إنسان مظلوم , ظلمه عبدالرحيم فافترى عليه في تلك القضية , وبأنه لم يحقق مع الإخوة في كابل , وأن من يسب الإخوة هو فلان وفلان من الروافض. ولم يكن هو. ولم يكن العجب في موقفه هذا. بل العجب يكمن في أن ينطلي هذا الكلام على من ليس عنده علم بمثل هذه الألاعيب من الإخوة بل وتطور الأمر إلى أن البعض بدأ يتساهل في التعامل معه. لدرجة أن بعض من يهاجمونه كلما مر بالقرب منهم. لمّا سمعوا بعض تلبيسه بدؤوا يقولون خلاص نحن لن نتعرض له بأي شيء.

وفي يوم من الأيام كان أحد الإخوة في غرفته في أول العنبر. فأحس بحركة غريبة في خارج العنبر, من إغلاق للنوافذ لكي لا يُرى من الداخل إلى العنبر من خلفه. وعندما أمعن في النظر , فإذا بذلك الداخل من الخلف هو أركان. فقال له: يا عدو الله تب وليس لك توبة. انظُر كيف يدخلونك إلى العنبر من خلفه كما يفعل مع النساء. ولكنه لم يتكلم ولم يرد. فدخل وقام بالتلبس على بعض البسطاء ممن ليس عنده خبرة في مثل هذه الأمور. فخرج ذلك الأخ إلى مكان التشميس في آخر العنبر فإذا بعدو الله يكلمه ويحاول التلبيس عليه كباقي الإخوة. ولكن حصل ما لم يتوقعه أركان , وتمنى لو أنه لم يكلمه , وإليكم ما دار بين الخصمين:

عندما خرج الأخ طلب منه أركان (إسلام العراقي) أن يعطيه فرصة ليتكلم , فقال له : قل فبدأ بمواله الحزين بأنه مظلوم. وأن الأمر ليس كما تظنون .... إلخ حتى انتهى من خزعبلاته. فقال له الأخ الفاضل رادعا له ولأمثاله «ما معناه» , يا هذا لا تظن بأننا دراويش لا نفهم شيئا. ولا تظن بأنك تتكلم مع طفل صغير ينطلي على هذا الكلام ,أذهب وأبحث عن مراهق عمره ١٦عـــاما كي تقول له هذا الكلام فينطلي عليه !!. أنت جاسوس وقد اعترفت على نفسك بتحقيقات أفغانستان بأنك جاسوس. وأنت تعرف ــ لأن ثقافة أركان العامة عالية ــ أن الاعتراف يعتبر سيد الأدلة سواء في الشريعة الإسلامية أو في القوانين الوضعية , فلن ينفعك الإنكار الآن. ويضاف إلى ذلك أيضا شهادة الشهود عليك , فقد قمت أنت بالتحقيق شخصيا مع أكثر من أخ في كابل بشهادتهم. هذا فضلا عن الذين قمت بالترجمة لهم , وكل هذا يعتبر من موالاة , ولا يخفى عليك أن كل الحدود في الشريعة الإسلامية تثبت بشهادة شاهدين اثنين , ما عدا حد الزنا فيجب فيه ٤ شهود. فمتى ما شهد رجلان على إنسان بأنه قتل فلانا وتمت شروط الشهادة فتثبت الجريمة في حق المشهود عليه ويقتص منه. ونحن قبلنا شهادة الشهود فيك من أنك قمت بالتحقيق مع البعض وبالترجمة للبعض الآخر. فأراد أركان أن يتلون ويتبدل على حسب الظروف. لذلك قال : أنا الآن تائب. فقال له الأخ : يا أركان أنت وأمثالك كياسر وعبدالرحيم وسعد وغيرهم لا تستطيعوا أن تتوبوا. ولو أردتم فعل ذلك فرضا

فلن يسمح لكم الأمريكان بذلك , وهذا الطريق الذي مشيتم به طريق الجاسوسية -لا يستطيع سالكه الرجوع منه. ثم قال له وكيف تصف نفسك بالتائب. ألم تنظر إلى سيرتك السيئة في السجن؟. ألم تكن أنت من كان يحرض زملائه على السب والتنقص للصحابة وعلماء السنة؟. ولو كنت غير راض عن هذا الفعل لن يستطيع من كان حولك التجرؤ عليه. والدليل على أن من كان حولك كانوا يأتمرون بأمرك وينتهون بنهيك. أنك عندما أمرتهم بمقاطعة عبدالرحيم مقاطعة تامة , بعد ما تم تجميعكم بمكان واحد , حتى يكتب لك إقرارا بأنك لم تمارس معه تلك الفعلة المشينة. فقطاعه جميعكم حتى فعل لك ما تريد. فَبُهِتَ الذي كفر ولم يزد على قوله : فقط اطلب من الشباب أن يعطوني فرصة للتوبة . فقال له الأخ لن أطلب من أي أَحَد أي شيء.

وهناك نقطة أود أن أضيفها للتدليل على جاسوسيته. وأنا الآن نسيت هل ذكرها له ذلك الأخ للجاسوس أركان في نقاشه معه أم لا ؟ أنه لو لم يكن جاسوس لـَـمْ يُخفي مذهبه الحقيقي مذهب الرفض ويظهر للمجاهدين بأنه سني فهذه أكبر علامة تدل على أنه جاسوس متخفي بصورة أخرى.

ولكن عدو الله لم ييئس ولم يفتر من التلبيس على الإخوة. بل استمر بنفس الخطى. وعلى نفس الوتيرة , فزاد تساهل ثـُـلـَّة قليلة من المعتقلين معه. وهذا التساهل لم يكن فقط بخصوص أركان بل يشمل سعدا وغيره. فلما رأى أحد الإخوةً أن شر ذلك الخبيث وزملائه بدأ يَسْتَطير حقيقة. وأنه يحاول التلبيس وإعادة الكـَـرَّة من جديد. قام ذلك الأخ فاستشار إخوانه واستخار, و فكـّر وقدّر أكثر من مرة , بسبب خطورة ما سيقدم عليه من عَمل في ذلك المكان. إلى أن اطمئن قلبه لما سيفعله , للحاجة الماسة إليه في ذلك المكان. ثم توكل على الله بإعداد خطبة يحذر فيها الإخوة من خطر المنافقين , وقرر أن يسميها بـ رقية المنافقين وشفاء صدور المؤمنين فاستغرب بعضنا من اختياره لهذا الاسم , فقال : ألا ترون أن الممسوس إذا قـُرأ عليه القرآن يصرع ويتضح حاله لكل راء بأنه شخص ممسوس. قلنا : بلى , فقال : أيضا هذه الخطبة ستوضح وتبينَ حال المنافقين ليتعروا أمامكم. وصدق واللّهِ لقد نفع الله بتلك الخطبة نفعا جَمّا واستفاد منها كل من سمعها في عنبره. وأقام الله بها الحجة على أئمة الكفر أركان العراقي , وعبدالحكيم البخاري , وغيرهم ممن سمعها من الجواسيس وكان عدو الله أركان متمالكا لنفسه طوال فترة سماعة للخطبة يوميا ولمدة ٤ أيام , حتى كان اليوم الأخير فكان كقاصمة الظهر بالنسبة له. لمّا سمع الإخوة يكبرون بصوت عال من شدة الفرح بهذه الخطبة فارتفعت عقيرته بالصياح والسب واللعن. ثم أبلغ الجنود عن ذلك الأخ , إلا أن الأخ تنبه لذلك قبل مجيء الجنود إليه فقام بإخفاء الأوراق واستبدلها بأخرى ليس فيها شيء يفرح به عدو الله , فرد الله كيد الكافر في نحره مرة أخرى.

وفي نهاية هذا الكتاب الصغير سأختم لكم بشيء من خطبته. مما استطعت أن أحتفظ به عند خروجي. وسأضيف عليها بعض الإضافات مما أحفظ معناه منها. وبالله التوفيق.

رقية المنافقين وشفاء صدور المؤمنين

إخواني الكرام

لما اصطفى الله النبي صلى الله عليه وسلم للرسالة , وبدأ صلوات ربي وسلامه عليه يدعو إلى دين الإسلام في ذلك الوقت لم يكن يتبعه عليه السلام إلا من آمن به حقا فدخل الإيمان إلى قلبه واستحكم فيه , فيصبر مع النبي صلى الله عليه وسلم على كل أنواع العذاب ولا يرده ذلك عن دينه. كما حصل لبلال وعمار وغيرهم من ضعفاء المسلمين. وعندما اشتد البلاء على المؤمنين ولم يزدد رؤوس الكفر صناديد قريش إلا كفرا وعتوا , واستطار شرهم وبدؤوا يمكرون بالنبي صلى الله عليه وسلم حيث أرادوا قتله أو حبسه أو تقييده. أذن الله له بالهجرة إلى المدينة , فهاجر هو ومن معه من المؤمنين والتقوا بمن بايعوا النبي صلى الله عليه وسلم من الأنصار. في تلك الفترة لم يكن ظهر النفاق بعد لأن المهاجرين رحمهم الله ذاقوا أشد أنواع العذاب في مكة وبعضهم ترك ماله وأهله كل ذلك بسبب إيمانهم. وكلكم يعرف ما رُوِىَ عن سعيد بن المسيب , قال : أقبل صهيب مهاجرا إلى النبي صلى الله عليه وسلم فاتبعه نفر من قريش فنزل عن راَحلته وانتثل ما في كنانته. ثم قال : يا معشر قريش لقد علمتم أني من أرماكم رجلا , وأيم الله لا تصلون إلي حتى أرمي كل سهم معي في كنانتي. ثم أضرب بسيفي ما بقي في يدي منه شيء , ثم افعلوا ما شئتم , وإن شئتم دللتكم على مالي بمكة وخليتم سبيلي. قالوا : نعم , فلما قدم على النبي صلى الله عليه وسلم المدينة. قال ربح البيع أبا يحيى , ربح البيع أبا يحيى . ونزل قوله تعالى ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾ رواه الحاكم بعدة طرق وقال صحيح على شرط مسلم.

وأما الأنصار فقد بايعوا النبي صلى الله عليه وسلم باختيارهم على أن يحفظوه مما يحفظون منه أولادهم ونسائهم فلم يكن هناك أي داع أو دافع يدفعهم للنفاق. ولكن لما اشتد الإسلام وقويَ نبتت نابتة النفاق الخبيثة , وبدأت ظاهرته تظهر , فأظهر بعض الناس الإسلام وأبطنوا الكفر من أجل حفظ دمائهم وأموالهم. وكانت هذه المشكلة أعني مشكلة ظهور النفاق من أشد المشاكل التي واجهت النبي صلى الله عليه وسلم. لأن المجتمع الإسلامي في المدينة كان في مراحله الأولى. ومرض النفاق من أشد الأمراض التي تنخر في المجتمعات. وذلك لأن المنافقين قبحهم الله يتحركون بخفاء كما تتحرك الثعابين لتلدغ وتبث سمومها ثم تنسل برفق شديد إلى جحرها. فالتحرز منهم صعب جدا , وهم يتحينون الفرص للانقضاض على المسلمين. وهم كذلك كانوا يفشون سر النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين إلى الكفار. ليستأصلوا شأفة المؤمنين قال تعالى ﴿ هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ ﴾ قال أهل العلم : أي لأنهم يفشون سرك إلى الكفار.

فكان النفاق داء عضالا واجه النبي صلى الله عليه وسلم في المدينة. ولكن النبي صلى الله عليه وسلم استطاع أن يتغلب على هذه المشكلة العويصة بحكمته وتأييد الله له بالوحي. وبما أن المنافقين كانوا يتحينون الفرص بالمؤمنين لذلك لما مات النبي صلى الله عليه وسلم , وكان الصحابة كالشياة في الليلة المطيرة المظلمة في الأرض المسبعة. نجم النفاق , وحاولت حية النفاق أن تخرج رأسها من جحرها العفن لتعيث في الأرض الفساد. لكن الصديق الباذل نفسَه وماله لنصرة نبيكم ودينكم ,قمع المنافقين أشد القمع. ونكل بهم أشد التنكيل. فشرد بهم من خلفهم من أمثالهم , فلله دره , ثم لله دره , ثم لله دره. فهذا الصنف من الناس لا ينفع معهم إلا هذا النوع من القمع والتنكيل. قال الإمام محمد بن عبدالوهاب رحمه الله رحمة واسعة ونور الله له ضريحه : ولما حصلت الردة , جاء الفجاءة إلى أبي بكر الصديق فقال له : يا خليفة رسول الله جهزني بالسلاح لأقاتل من ارتد من العرب. فلما جهزه بالسلاح قطع طريق المسلمين. فأرسل إليه أبو بكر من يقاتله , فظفروا به فأتوا إبه لى أبي بكر الَصديق فحَرَّقَــهُ بالنار , وكذلك أمرَ خالدَ بن الوليد أن يُحَرِّق من ارتد من العرب بالنار. فكان خالد يجعل رؤوسهم أثافي القدور (أي وأثافي القدور :هي الحجارة التي

يوضع عليها القدر عند الطبخ).

إن هذا الصنف من الناس حاول أن يخادع الله. وكذب مرارا وتكرار على رسوله الكريم المؤيد بالوحي. لذلك لم ينجع فيهم إلا مثل هذا العلاج الشافي من كل وسوسة. فإنهم لا ينفع معهم إحسان الظن والمعاملة بالرفق واللين والسهولة. فكيف تُعامل الثعابين معاملة لطيفة وهي تتربص الدوائر بالمسلمين ومتى ما حصلت لها فرصة للانقضاض انقضت .

إخواني الكرام قد يتساءل بعضكم فيقول : ما الذي يمنع المنافقين من الإيمان وهم يرون النبي صلى الله عليه وسلم يمشي بين أظهرهم وهم يسمعون القرآن يتلى عليهم. وفيه توَعُد للمنافقين بأشد أنواع العذاب . فاعلم رحمك الله أن المنافق من خبث سريرته , فإنه لا يحب التوبة. ولا يحب أن يسمع الوعد والوعيد بل ويجعل أصابعه في أذنيه عند سماع الحجج التي في القرآن من شدة خوفه من ميله إلى الإيمان عند سماعها. وترك ما هو عليه من الكفر , قال تعالى ﴿ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ ۚ وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴾. فالمطر هو القرآن , والظلمات ذكْرُ الكفر في القرآن , والرعد هو الوعيد , والبرق هو الحجج التي ذكرها الله في القرآن . ويقول تعالى ﴿ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ هَلْ يَرَىٰكُم مِّنْ أَحَدٍ ثُمَّ ٱنصَرَفُوا۟ ﴾ يعني تعالى أنهم إذا أنزلت سورة فيها ذكرهم, وقرأها النبي صلى الله عليه وسلم عليهم , نظر بعضهم إلى بعض يريدون الهرب قائلين. هل يراكم من أحد إذا قمتم , فإن لم يرهم أحد قاموا وإلا ثبتوا.

وقال تعالى ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ لَوَّوْا۟ رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴾. والله عز وجل بين مثل المنافقين في القرآن فقال ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ﴾ أي أنارت ما حوله فأبصر واستدفأ وأمن مما يخافه ﴿ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴾ أي أن الله أطفأ نورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون ما حولهم متحيرين عن الطريق خائفين. فكذلك هؤلاء أمنوا بإظهار كلمة الإيمان فإذا ماتوا جاءهم الخوف والعذاب. وبما أنه كان رأس الكفر أركان يسمع كل هذا الكلام , قال الأخ معقبا بعد هذا الكلام: فيا أيها المنافق تمتع بردّتك ونفاقك قليلا , إنك من أصحاب النار إن لم تتب. ثم واصل قائلا : إخواني الكرام إن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن يعرف كل المنافقين بأعيانهم. بل كان يعرف أوصافهم. وبتلك الأوصاف يتبين له المنافق من غيره. وهذا على قول من أقوال العلماء في هذه المسألة واستدلوا على ذلك بقوله تعالى ﴿ وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَٰكَهُمْ ﴾ أي عرفناك إياهم ﴿ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَٰهُمْ ﴾ أي بعلامتهم , ثم قال تعالى ﴿ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ ﴾ الواو هنا لقسم محذوف وجواب القسم ﴿ فِى لَحْنِ ٱلْقَوْلِ ﴾ والمعنى : أي والله لتعرفنهم إذا تكلموا عندك بما فيه تهجين أمر المؤمنين.

وبما أن مرض النفاق مرض خطير جدا جدا. ولأن النبي صلى الله عليه وسلم سيموت والوحي سينقطع. لذلك قد بين الله أوصاف المنافقين في القرآن بتفصيل شديد , حتى فضحهم فضحا , لتكون تلك الصفات دليلا للمؤمنين على المنافقين في كل زمان ومكان ليتحرزوا منهم. ونحن إن شاء الله سنذكر بقدر الإمكان ـ لأن المعتقل لم يكن فيه كتب ولا مراجع ـ بعض صفاتهم المذكورة في القرآن. لينكشف أمرهم لكل مخدوع بهم. فإنهم كثيرا ما يكذبون على الشباب الصغار في السن أو السذج أو الذين ليس عندهم علم بهذه المسألة. فيَدخلون عليهم من باب العاطفة والمسكنة. إلى أن يصبح ذلك المسكين ضحية لهم , فيسيء الظن بالمسلمين , ويحسن الظن بذلك المنافق المارق من الدين. ولا يخفى عليكم أن مثل هذه الأمور لا ينبغي لأحد أن يتكلم بها بمثل هذا ـ أي بالعاطفة ـ لا سيما في مثل هذه الظروف التي نمر بها. لأن الخطر محيط بنا إحاطة السوار للمعصم. وأنتم تعلمون أن كل ما يحصل للمسلمين من أذى في هذا الزمان من تدبير المنافقين الصغار والكبار. وما هذا السجن الذي أنتم فيه الآن إلا بقدر من الله أولا ثم بسبب مكر المنافقين.

إخواني الكرام لا ينبغي لنا أن نختلف في المنافقين. بل يجب أن تكون كلمتنا فيهم واحدة وموقفنا منهم واحد . عن سعد بن معاذ قال خطب رسول الله صلى الله عليهم وسلم الناس فقال: من لي بمن يؤذيني , ويجمع في بيته من يؤذيني. فقال سعد بن معاذ : إن كان من الأوس قتلناه , وإن كان من إخواننا الخزرج أمرتنا فأطعناك. فقام سعد بن عبادة فقال: ما بك يا ابن معاذ طاعة الله ورسوله , ولقد عرفت ما هو منك. فقام أسيد بن حضير فقال: إنك يا ابن عبادة منافق وتحب المنافقين. فقام محمد بن مسلمة فقال : اسكتوا يا أيها الناس فإن فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يأمرنا فننفذ أمره. فأنزل الله سبحانه ﴿ فَمَا لَكُمْ فِى ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيْنِ وَٱللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوٓا۟ ﴾ أي ما شأنكم صرتم في المنافقين فرقتين والله ردهم إلى الكفر بما كسبوا. ﴿ أَتُرِيدُونَ أَن تَهْدُوا۟ مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ ۖ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا ﴾ أي أتريدون

أن تعدوهم من جملة المهتدين. ومن يضلل الله فلن تجد له طريقا إلى الحق . فيا أيها الأخ الفاضل دع عنك إلتماس الأعذار لهم وانقد إلى الحق , واترك عنك المحاجَّةِ عنهم.

إخواني الكرام ويجب علينا أن نعامل المنافقين بغلظة بقدر الإمكان , لأن الله يقول ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱغۡلُظۡ عَلَيۡهِمۡۚ﴾ يعني بالانتهار والمقت , ولا ينبغي لأحد أن يقول أنا لا أريد أن أجعل لي أعداء. ومن قال هذا فقد أخطأ لمخالفته للنص, ولا تكن كما قال المنافقون عندما أمر الله المسلمين بعدم موالاة الكافرين , فوالوهم وقالوا معتذرين ﴿نَخۡشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٞۚ﴾ يدور بها الدهر علينا , من جدب أو غلبة عدو , ولا يتم أمر محمد فلا يميرونا , فقال تعالى عنهم ﴿فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأۡتِيَ بِٱلۡفَتۡحِ﴾ أي بنصر نبيه بإظهار دينه ﴿أَوۡ أَمۡرٖ مِّنۡ عِندِهِۦ﴾ بهتك ستر المنافقين وافتضاحهم ﴿فَيُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ﴾ من الشك وموالاة الكفار ﴿نَٰدِمِينَ﴾. فاحذروا من هذه الآية , وخافوا منها حتى لا تكون هناك مشابهة بينكم وبين من يتملص من النصوص , ومن كان يخاف من المنافقين الظاهرين, فأقل شيء يفعله أن لا يوادهم ولا يحتك بهم مطلقا , وأن يدع الأعذار الباردة. روى ابن حبان عن ابن عباس قال : كان رفاعة بن التابوت وسعيد بن الحارث قد اظهرا الإسلام ونافقا. وكان رجل من المسلمين يوادهما , فأنزل الله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَكُمۡ هُزُوٗا وَلَعِبٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَٱلۡكُفَّارَ أَوۡلِيَآءَۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ أي بترك موالاتهم ﴿إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ , وهذا نص في المسألة فلا خيار لك في الأمر.

وقبل أن نشرع بذكر تلك الصفات نضيف هذه الإضافة. وهي أن المنافق لخساسته , وحقارته , ودناءته , وخبثه , وعدم مروءته , وشدة خطره على الأمة , جعل الله عز وجل عقابه أشد عقاب وأقواه , لعله أن ينزجر فيرجع عن هذا النفاق , فقال تعالى ﴿إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ فِي ٱلدَّرۡكِ ٱلۡأَسۡفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمۡ نَصِيرًا﴾ والدرك أي المكان , وقال تعالى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱلۡكَٰفِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾ أي كما اجتمعوا في الدنيا على الكفر والاستهزاء , وقال تعالى عن المنافقين ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ﴾ أي استبدلوها ﴿فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمۡ وَمَا كَانُواْ مُهۡتَدِينَ﴾ أي ما ربحوا فيها , بل خسروا لمصيرهم إلى النار المؤبدة عليهم , وما كانوا مهتدين فيما فعلوا , وقال تعالى ﴿لَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفۡرَحُونَ بِمَآ أَتَواْ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحۡمَدُواْ بِمَا لَمۡ يَفۡعَلُواْ﴾ أي يفرحون بإضلالهم الناس , ويحبون أن يقال عنهم أنهم يتمسكون بالحق ﴿فَلَا تَحۡسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٖ مِّنَ ٱلۡعَذَابِۖ﴾ أي في مكان ينجون فيه من العذاب في الآخرة بل هم في مكان يعذبون فيه ﴿وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾ أي مؤلم. ذهب بعض أهل العلم أن المراد بالآية المنافقين , وقال تعالى ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرۡتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدۡبَٰرِهِم﴾ أي ارتدوا بالنفاق على أدبارهم ﴿مِّنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلۡهُدَى ٱلشَّيۡطَٰنُ سَوَّلَ لَهُمۡ﴾ أي زيَّن ﴿وَأَمۡلَىٰ لَهُمۡ ٢٥ ذَٰلِكَ﴾ أي إضلالهم ﴿بِأَنَّهُمۡ قَالُواْ لِلَّذِينَ كَرِهُواْ مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ سَنُطِيعُكُمۡ فِي بَعۡضِ ٱلۡأَمۡرِۖ﴾ أي المعاونة على عداوة النبي صلى الله عليه وسلم , وتثبيط الناس عن الجهاد معه , قالوا ذلك سرا فأظهره الله تعالى ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ إِسۡرَارَهُمۡ ٢٦ فَكَيۡفَ﴾ حالهم ﴿إِذَا تَوَفَّتۡهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَضۡرِبُونَ وُجُوهَهُمۡ وَأَدۡبَٰرَهُمۡ﴾ أي ظهورهم بمقامع من حديد.

إخواني الكرام تلك عقوبتهم في الآخرة. وأما عقوبتهم في الدنيا , فإن الله يقول عنهم : ﴿مَّلۡعُونِينَۖ أَيۡنَمَا ثُقِفُوٓاْ﴾ أي مطرودين من الرحمة أينما وجدوا ﴿أُخِذُواْ وَقُتِّلُواْ تَقۡتِيلٗا﴾ أي هذا هو الحكم فيهم , وهو على جهة الأمر به , ولا تقبل لهم توبة إذا ظهر عليهم ﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ﴾ أي سن الله ذلك ﴿فِي ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلُۖ﴾ من الأمم الماضية في منافقيهم المرجفين للمؤمنين ﴿وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗا﴾ طبعا هذا بالنسبة لإظهار توبتهم لنا , وأما توبتهم فيما بينهم وبين الله فلا نتدخل فيها , وهي موكولة إلى الله تبارك وتعالى يفعل فيهم ما يشاء. وكيف تقبل توبتهم , وغاية ما يظهرون لنا ما كانوا يظهرونه في السابق ويبطنون خلافه. وهذا القول ..أي القول بعدم قبول توبة المنافق ..هو قول شيخ الإسلام ابن تيميه رحمه الله تعالى.

(رقية المنافقين وشفاء صدر المؤمنين)

وأما بالنسبة لصفاتهم فمن أظهر علاماتهم أنهم يطعنون بعرض النبي صلى الله عليه وسلم ويقذفون أهله رضي الله عنهم كما فعل كبيرهم عبدالله بن أبي بن سلول . قال تعالى ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلۡإِفۡكِ﴾ أي أسوء الكذب على عائشة أم المؤمنين بقذفها ﴿عُصۡبَةٞ مِّنكُمۡۚ لَا تَحۡسَبُوهُ﴾ أيها المؤمنين غير العُصْبَة ﴿شَرّٗا لَّكُمۖ بَلۡ هُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۚ﴾ يأجركم الله به. ويظهر براءة عائشة ومن جاء معها منه , وهو صفوان فإنها قالت كما روى البخاري ومسلم (كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم في غزوه بعد ما أنزل الحجاب , ففرغ منها ورجع ودنا من المدينة وآذن بالرحيل ليلة , فمشيت وقضيت

شأني , وأقبلت إلى الرحل فإذا عقدي انقطع – القلادة – فرجعت التمسه , وحملوا هودجي – هو ما يركب فيه – على بعيري يحسبونني فيه وكانت النساء خفافا. إنما يأكلن العُلْـقَة من الطعام – أي القليل – ووجدت عقدي وجئت بعد ما ساروا فجلست في المنزل الذي كنت فيه. وظننت أن القوم سيفقدونني فيرجعون إلي , فغلبتني عيناي فنمت , وكان صفوان عَرَّس من وراء الجيش – أي نزل من آخر الليل للاستراحة – فادَّلَج ـ أي سار منه ـ فأصبح في منزله فرأى سواد إنسان نائما – أي شخصه – فعرفني حين رآني وكان يراني قبل الحجاب , فاستيقظت باسترجاعه حين عرفني – أي قوله : إنا لله وإنا إليه لراجعون ـ فخَمَّرْتُ وجهي بجلبابي, أي غطيته بالملاءة , والله ما كلمني بكلمة ولا سمعت منه كلمة غير استرجاعه حين أناخ راحلته ووطئ على يدها. فركبتها فانطلق يقود بي الراحلة حتى أتينا الجيش بعد ما نزلوا موغرين في نحر الظهيرة – من أوغر أي واقفين في مكان وغر من شدة الحر – فهلك من هلك. وكان الذي تولى كبره منهم عبدالله بن أبي بن سلول , اهـ كلامها.

وأما المنافقين الآخرين فقد كانوا ينظمون الشعر الذي يُتَغَزَّلُ به في نساء المسلمين ثم ينحلونه إلى المشركين. وهم كذلك في هذا الزمان دائمي الطعن بأعراض المسلمين , ويرمونهم بالفواحش , سواء المؤمنين أنفسهم أو نسائهم.
ومن علامات المنافقين أنهم ينتقصون من قدر النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضوان الله عليهم أجمعين .
قال تعالى ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي ٱلصَّدَقَـٰتِ ﴾ أي يعيبك فيها , وقال تعالى ﴿ وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِىَّ ﴾ أي يعيبه وينقل حديثه ﴿ وَيَقُولُونَ ﴾ إذا نهو عن ذالك لئلا يبلغه ﴿ هُوَ أُذُنٌ ﴾ أي يسمع كل قيل ويقبله. فإذا حلفنا له أننا لم نقل صدقنا. وقال تعالى ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ ﴾ أي أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ﴿ قَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ ﴾ وروى بعض أهل العلم عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : اغزوا تغنموا بنات بني الأصفر . فقال أناس من المنافقين انه يفتنكم بالنساء.

وعن ابن عمر رضي الله عنه قال : قال رجل في غزوه تبوك في مجلس يوماً: ما رأينا مثل قراؤنا هؤلاء , ولا أرغب بطونا , ولا أكذب ألسنة , ولا أجبن عند اللقاء منهم. فقال له رجل كذبت, ولكنك منافق , لأخبرن رسول الله صلى الله عليه وسلم. فبلغ ذلك رسول الله فنزل القرآن . إن هذا هو دأب المنافقين لمز النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه من قديم الزمان.

ومن علاماتهم انه تسوءهم عافية النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه , قال جابر بن عبدالله : جعل المنافقين الذين تخلفوا بالمدينة يخبرون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبار السوء , ويقولون إن محمدا وأصحابه قد جهدوا في سفرهم وهلكوا فيلغهم تكذيب حديثهم وعافية النبي وأصحابه فساءهم ذلك فأنزل تعالى ﴿ إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ ﴾ كنصر وغنيمة ﴿ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ ﴾ أي شده ﴿ يَقُولُوا۟ قَدْ أَخَذْنَآ أَمْرَنَا مِن قَبْلُ وَيَتَوَلَّوا۟ وَّهُمْ فَرِحُونَ ﴾ أي قد أخذنا أمرنا بالحزم حين تخلفنا من قبل هذه المصيبة. ويتولوا وهم فرحون بما أصابك. وهذا هو حال المنافقين المعاصرين مع المؤمنين , إن أصابهم خير يصغرونه ويُهَوِّنونه , وإن أصابتهم مصيبة يفرحون بها ويَشْمَتون بالصالحين.

ومن علاماتهم أنهم يسارعون في الكفر إذا عرض عليهم , وسنحت لهم الفرصة في ذلك , قال تعالى ﴿ وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا ﴾ علوها وما تلبثوا بها إلا يسيرا فلا يغرنكم يا مساكين مقولتهم لكم بعد أن ُظهرَ عليهم لقد تـُبْنا . الآن وقد نافقوا من قبل ,وكشف أمرهم , وكانوا من المارقين , هلا كان قبل أن يُظهَر عليهم أعداء َالله , وصدق الله كلما طلب منهم ذلك الكفر عادوا له إذا سمحت لهم الأحوال والظروف وقد شاهدنا هذا بأم أعينا.

ومن أبرز علامات المنافقين المتقدمين والمعاصرين , والتي يمارسونها بمهارة عالية جدا جدا , وتعتبر هذه العلامة من أهم مواصفات المنافق. ومتى تخلى عنها فإنه يصبح صيدا سهلا للمسلمين , ولكنه يراوغ بها مراوغة أَشَدُّ من مراوغة الثعالب , وهي درعهم الذي يتَحَصَّنون به إذا ضُيِّقَ عليهم , وما أعنفها من صفة , فإن هذه الصفة لا ترضاها النساء فضلا عن الرجال. وهي ملازمة لهم أينما نزلوا وحلوا , تلك الصفة هي صفه الكذب. قال تعالى ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّى وَلَا تَفْتِنِّىٓ ﴾ أي ائذن لي في التخلف – وهو الجد ابن قيس , قال له النبي صلى الله عليه وسلم « هل لك في جلاد بني الأصفر » فقال : إني مغرم بالنساء , وأخشى إن رأيتُ نساء بني الأصفر أن لا أصبر عنهن فأفتن قال تعالى ﴿ أَلَا فِى ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُوا۟ ﴾ وفي قراءه سقط ﴿ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَـٰفِرِينَ ﴾ لا محيص لهم عنها.

وقال تعالى ﴿ وَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ ﴾ أي أنهم مؤمنون. قال تعالى ﴿ وَمَا هُم مِّنكُمْ وَلَٰكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ ﴾ أي يخافون أن تفعلوا بهم كالمشركين ﴿ لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً ﴾ يلجئون إليه ﴿ أَوْ مَغَٰرَٰتٍ ﴾ أي سراديب ﴿ أَوْ مُدَّخَلًا ﴾ أي موضعا يدخلونه ﴿ لَّوَلَّوْاْ إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ ﴾ أي يسرعون في دخوله. والانصراف عنكم. إسراعا لا يرده شيئ كالفرس الجموح. فهم يا أيها الإخوة يكذبون عليكم من شدة خوفهم منكم، وبين تعالى كذبهم أيضا فقال ﴿ سَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ إِذَا ٱنقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ ﴾ أي رجعتم إليهم من تبوك إنهم معذورون في التخلف ﴿ لِتُعْرِضُواْ عَنْهُمْ ﴾ بترك المعاتبة ﴿ فَأَعْرِضُواْ عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ ﴾ أي قذر لخبث باطنهم ﴿ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴾ وقال تعالى وتقدس ﴿ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّا ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ أي ما أردنا ببناء مسجد الضرار إلا الفعلة الحسنة. من الرفق بالمسكين في المطر والحر , والتوسعة على المسلمين ﴿ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴾ في ذلك. وقال تعالى ﴿ وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ ﴾ أي يقول المنافقون إذا جاءوك : أمرنا طاعة لك ﴿ فَإِذَا بَرَزُواْ مِنْ عِندِكَ بَيَّتَ طَآئِفَةٌ مِّنْهُمْ ﴾ أي إذا خرجوا من عندك أضمرت طائفة منهم ﴿ غَيْرَ ٱلَّذِى تَقُولُ ﴾ لك في حضورك من الطاعة أي أنهم اضمروا العصيان. وقال تعالى ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴾. وقال تعالى ﴿ وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ ﴾ أي رؤسائهم في التحقيق وغيره أو عن طريق أجهزة الاتصال السرية ﴿ قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمْ ﴾ أي على دينكم.

وقال تعالى في سوره التوبة ﴿ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴾ وقال تعالى ﴿ وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ ﴾ أي غير حَصِينَة يُخشى عليها . قال تعالى ﴿ وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴾ من القتال. ويستأنس بما روى عن ابن عباس بسند ضَعيف: أن عبد الله بن أبي وأصحابه خرجوا ذات يوم فاستقبلهم نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم , فقال عبدالله بن أبي : انظروا كيف أرد عنكم هؤلاء السفهاء. فذهب فأخذ بيد أبي بكر فقال: مرحبا بالصديق سيد بني تَيْم. وشيخ الإسلام وثاني رسول لله في الغار . الباذل نفسه وماله لرسول الله , ثم اخذ بيد عمر فقال : مرحبا بسيد بني عدي بن كعب الفاروق القوي في دين الله الباذل نفسه وماله لرسول الله , ثم اخذ بيد علي فقال : مرحبا بان عم رسول الله سيد بني هاشم ماخلا رسول الله , ثم افترقوا , فقال عبدالله لأصحابه كيف رأيتموني فعلت ؟ فإذا رأيتموهم , فافعلوا كما فعلت , فأثنوا عليه خيرا. فإذا كان المنافقون يحاولون أن يكذبوا على رسول الله , وعلى أئمة الموحدين أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم , فلا تطمع أيها الموحد بأن يصدقوا معك , فأحذرهم كل الحذر , ولا تقع في شراكهم , فإن وقعت بعد هذا البيان والتوضيح الذي وَضَّح لك ربك , فلا تلومن إلا نفسك , والحر تكفيه الإشارة . فَتَنَبَّه .

إخواني الكرام , ومن علامات المنافقين أنهم يحاولون مخادعه الله والمؤمنين , وكسلهم عن العبادة , فإن قام إليها المنافق , فهو مراء فيها , قال تعالى ﴿ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾ , وقال تعالى ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ , وقال تعالى ﴿ وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَٰتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَٰرِهُونَ ﴾ النفقة , لأنهم يعدونها مَغْرَما .

إخواني الكرام ألا ترون أنهم يجبنون عن السياحة (يقصد الجهاد , ولم يقلها مراعاة لظروف المكان) ويكسلون عنها . وإن خرجوا إليها فلهم أغراضهم في ذلك غير أغراض المسلمين. ألم تسمعوا أن بعضهم كان يقاتل ويجعل نفسه في مواطن صعبة جدا . ويعرض نفسه للخطر والموت . أتحسبون أنه يفعل ذلك لطلب الثواب من الله . لا بل يفعله مراءاة للناس حتى يثقوا به. وليَغْفُلوا عنه , فيتحرك بكل حرية , فيطعن المسلمين في ظهورهم طعنة قاتلة , إن قلوبهم مملوءة حقدا وغيضا على المسلمين. ولكن هيهات إن ربك لــبـالمرصاد , ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله, وا عجبا للمنافقين ما ألأمهم , واعجبا للمنافقين ما أصبرهم على النار , ألم يعلم المنافقون أنه من يُحادد الله ورسوله فأن له نار جهنم خالد فيها . ذلك الخزي العظيم.

وبعضهم من شدة مراءاته للناس, تراه يصلي وهو لابس للنظارات الشمسية, ثم يصور بالكاميرات صورة وهو قائم, وثانية وهو راكع , وثالثة وهو ساجد , ثم تُوَزَّع تلك الصُّوَر على المسلمين المساكين , لينخدعوا بذلك المنافق الملحد ويظنوا أنه يتلوا آيات ربه آناء الليل والنهار , ساجدا وقائماَ يحذر الآخرة ويرجوا رحمة ربه.

ومن علامات المنافقين المَشْيُ بالنميمة بإلقاء العداوة بين المؤمنين وتخذيلهم. قال تعالى ﴿ لَوْ خَرَجُواْ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا ﴾ أي فسادا بتخذيل المؤمنين ﴿ وَلَأَوْضَعُواْ خِلَٰلَكُمْ ﴾ أي أسرعوا بينكم بالمشي بالنميمة ﴿ يَبْغُونَكُمُ

﴿ ٱلْفِتْنَةَ ﴾ أي يطلبون لكم الفتنة بإلقاء العداوة ﴿ وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ ﴾ أي يسمع ما يقول المنافق سماع قـبول ﴿ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ وصدق الله. ألـم أقل لكـم قبل فتره من الزمن , أن من فوائد هذا السجن أننا رأينـ القرآن يتكلم .

إخواني الكرام كم من واحد كُشِفَ نفاقهم في هذه الأماكن فحاولوا أن يُلقوا الفتنة بيننا. فسمع لهم بعض المساكين لذلك هم بدؤوا يُسيئون الظن ببعض الفضلاء , بل و رَمَوْهُمْ بالكذب من أجل ذلك المنافق , فتدبروا ذلك رحمكم الله. وهذه الوسوسة هي من عادة مردة شياطين الإنس والجن , قال تعالى ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ﴾ أي مَرَدَةَ ﴿ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى ﴾ أي يُوَسْوِسَ ﴿ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ ﴾ أي المموه من الباطل ﴿ غُرُورًا ﴾ أي ليغروهم – فكونوا على حذر منهم ــ ثم أكمل تعالى قوله في الآية السابقة وهي ﴿ لَوْ خَرَجُواْ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا ﴾ فقال تعالى ﴿ لَقَدِ ٱبْتَغَوُاْ ٱلْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ ﴾ أي عند أول قدومك المدينة ﴿ وَقَلَّبُواْ لَكَ ٱلْأُمُورَ ﴾ أي أجالوا الفكر في كيدك وإبطال دينك ﴿ حَتَّىٰ جَآءَ ٱلْحَقُّ ﴾ أي النصر ﴿ وَظَهَرَ أَمْرُ ٱللَّهِ ﴾ أي عَزَّ دينه ﴿ وَهُمْ كَٰرِهُونَ ﴾ له , فابشروا يا إخواني مهما حاول المنافقون الكبار والصغار , ليصدوا عن سبيل الله بالمكر والنميمة وتقليب الأمور لن يفلحوا أبدا, وسَيَرُدُّ الله كيد المنافق في نحره , وما يهلكون إلا أنفسهم وما يشعرون. والمنافق آمر بالمنكر , ناه عن المعروف , فمتى ما رأيت الرجل يزين المعاصي ويأمر بالكفر والتجسس على المسلمين , فاعلم أن هذا هو الذي نعني ونتكلم عنه. قال تعالى ﴿ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ ﴾ أي متشابهون في الدين ﴿ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ ﴾ أي الكفر والمعاصي ﴿ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ ﴾ أي الايمان والطاعة , ﴿ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ ﴾ عن الإنفاق في الطاعة , وقال تعالى ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ﴾ أي للمنافقين ﴿ لَا تُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ بالكفر والتعويق عن الايمان ﴿ قَالُوٓاْ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴾ وليس ما نحن فيه بفساد.

ومن علاماتهم تـحيّن الفرص بالنبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين , ليقضوا عليهم , قال تعالى ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ ﴾ الدوائر ﴿ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ ﴾ أي ظفر وغنيمة ﴿ مِّنَ ٱللَّهِ قَالُوٓاْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ ﴾ في الدين والجهاد فأعطونا من الغنيمة , ﴿ وَإِن كَانَ لِلْكَٰفِرِينَ نَصِيبٌ ﴾ من الظَّفَر عليكم ﴿ قَالُوٓاْ أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُم مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ أي ألم نمنعكم من المؤمنين أن يظفروا بكم , بتخذيلهم ومراسلتكم بأخبارهم فلنا عليكم المنة .

وقال تعالى ﴿ وَهَمُّواْ بِمَا لَمْ يَنَالُواْ ﴾ من الفتك بالنبي ليلة العقبة عند عوده صلى الله عليه وسلم من تبوك , وهم بضعة عشر رجلا , فضرب عمار بن ياسر وجوه الرواحل لمّا غَشَوْهُ فَرَدُّوا ﴿ وَمَا نَقَمُوٓاْ ﴾ أي أنكروا ﴿ إِلَّآ أَنْ أَغْنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضْلِهِۦ ﴾ بالغنائم بعد شدَّة احتياجهم , والمعنى أنهم لم ينلهم منه إلا هذا , وليس مما ينقم , ولكن هذه خسة المنافق , تحسن إليه وتطعمه وتلبسه وتـؤويه ثم بعد هذا كله, يرتمي في أحضان الكافرين , فلله درك يا أبا بكر على صنعك بالمرتدين الملحدين.

وروى ابن جرير : أن الأخنس بن شريق أقبل إلى النبي صلى الله عليه وسلم , وأظهر له الإسلام أي أن الأخنس أظهر للنبي بأنه مسلم ـ فأعجبه ذلك منه , ثم خرج فمر بزرع لقوم مسلمين وحُمُر, فأحرق الزرع وعقـر الحُمُر , فأنزل الله ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴾.

أخي الكريم احذر من المنافقين كل الحذر , فإنهم متى ما ظفروا بك , فلن يفوتوا تلك الفرصة. فإن مكنتهم من نفسك بعد ذلك فلا تلومن إلا نفسك. ومن علاماتهم موالاتهم للكفار والجلوس معهم عند استهزائهم بالشرع , قال تعالى ﴿ بَشِّرِ ﴾ أي اخبر يا محمد ﴿ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾ ٱلَّذِينَ ﴾ صفَةُ المنافقين ﴿ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ) لمَا يتوهمون فيهم من القوه ﴿ أَيَبْتَغُونَ ﴾ أي أيطلبون ﴿ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ ﴾ استفهام إنكار , أي لا يجدون عندهم العزة ﴿ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴾ في الدنيا والآخرة , ولا ينالها إلا أولياءه ﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَٰبِ ﴾ أي في القرآن ــ وهذا النهي مذكور في سورة الأنعام آية رقم ٦٨ ـ ﴿ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُواْ مَعَهُمْ ﴾ أي مع الكافرين والمستهزئين ﴿ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا ﴾ أي إن قعدتم معهم ﴿ مِّثْلُهُمْ ﴾ أي في الإثم ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِى جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴾ كما اجتمعوا في الدنيا على الكفر والاستهزاء .

وعن ابن عمر رضي الله عنه قال : قال رجل في غزوه تبوك في مجلس يوما : ما رأينا مثل قراؤنا هؤلاء , ولا أرغب بطونا ,

ولا أكذب ألسنة , ولا أجبن عند اللقاء منهم. فقال له رجل : كذبت ولكنك منافق , لأخبرن رسول الله صلى الله عليه وسلم , فبلغ ذلك رسول الله فنزل القرآن. قال ابن عمر : فأنا رأيته متعلقا بناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم , والحجارة تنكبه وهو يقول : يا رسول الله ﴿إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ﴾ ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ﴿وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ۝٦٥ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾ . وقال تعالى ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ﴾ من القران ﴿فَمِنْهُم﴾ أي من المنافقين ﴿مَّن يَقُولُ﴾ لأصحابه استهزاءً ﴿أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا﴾.

ومن علامات المنافقين شكهم بما وعد الله ورسوله , وسوء الظن بالله تبارك وتعالى. روى البيهقي عن عمرو المزني قال: خط رسول الله الخندق عام الأحزاب فأخرج الله من بطن الخندق صخرة بيضاء مُدَوَّرةً. فأخذ رسول الله المعول فضربها ضربة , فصدعها وبرق منها برق أضاء مابين لابَتَيْ المدينة. فكبر وكبر المسلمون , ثم ضرب الثانية , فصدعها وبرف منها برق أضاء مابين لا بَتَيْها فكبر وكبر المسلمون , ثم ضربها الثالثة , فكسرها فبرق منها برق أضاء مابين لا بتيها فكبر وكبر المسلمون , فسُئلَ عن ذلك فقال : ضربت الأولى فأضاءت لي قصور الحيرة ومدائن كسرى وأخبرني جبريل أن أمتي ظاهرة عليها , ثم ضربت الثانية , فأضاءت لي قصور الحمر من أرض الروم وأخبرني جبريل أن أمتي ظاهرة عليها , ثم ضربت الثالثة فأضاءت لي قصور صنعاء , وأخبرني جبريل أن أمتي ظاهرة عليها فقال: المنافقون ألا تعجبون يُحَدِّثُكم ويُمَنِّيكم ويَعِدُكم الباطل , ويخبركم أنه يبصر من يثرب قصور الحيرة ومدائن كسرى وأنها تفتح لكم , وأنتم إنما تحفرون الخندق من الفَرَق لا تستطيعون أن تَبَرَّزوا , فنزل القرآن ﴿وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا﴾ وقال تعالى ﴿وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ﴾ ظنوا انه لا ينصر محمدا صلى الله عليه وسلم والمؤمنين .

وقال تعالى عن المنافقين ﴿يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ﴾ أي ظنا غير الظن الحق. والمنافق أيضا يخاف من الفضيحه , ولكنه مع هذا يستهزأ بالشرع وبالمؤمنين , قال تعالى ﴿يَحْذَرُ﴾ أي يخاف ﴿ٱلْمُنَٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ﴾ أي على المؤمنين ﴿سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِى قُلُوبِهِمْ﴾ أي بما في قلوب المنافقين من النفاق , وهم مع ذلك هم يستهزئون قال تعالى ﴿قُلِ ٱسْتَهْزِءُوٓا۟﴾ أمر تهديد ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ﴾ أي مظهر ما تحذرون إخراجه من نفاقكم . وهم يستحيون من الناس ويخافونهم ولا يستحيون من الله وهو محيط بهم , قال تعالى ﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا﴾ ولكن الله سيفضحهم ويكشف سوءتهم لعباده المؤمنين قال تعالى ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ ٱللَّهُ أَضْغَٰنَهُمْ﴾ أي لن يظهر أحقادهم على النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين , فلربنا الحمد , وله الشكر على بيانه لنا كل هذا البيان .

ومن علامة المنافق أنه مداهن , فهو يَتَلَـوَّنُ على حسب الأوضاع والأحوال , قال تعالى ﴿يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ﴾ أيها المؤمنون فيما بلغكم عنهم من أذى رسول الله صلى الله عليه وسلم أنهم ما أتوه ﴿وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ﴾ بالطاعة . وقد ذكرنا فيما قبل قصه ابن سلول مع أبي بكر وعمر وعلي .

ومن علاماتهم خوفهم من القتال , قال تعالى ﴿وَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَجَٰهِدُوا۟ مَعَ رَسُولِهِ ٱسْتَـْٔذَنَكَ أُو۟لُوا۟ ٱلطَّوْلِ﴾ أي ذوُوا الغنى ﴿مِنْهُمْ وَقَالُوا۟ ذَرْنَا نَكُن مَّعَ ٱلْقَٰعِدِينَ ۝٨٦ رَضُوا۟ بِأَن يَكُونُوا۟ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ﴾ أي النساء اللواتي تَخَلَّفن في البيوت ﴿وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾. قال تعالى ﴿وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ﴾ أي ليَتأخرن عن القتال كالمنافقين ﴿فَإِنْ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ﴾ كقتل أو هزيمة ﴿قَالَ قَدْ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَىَّ إِذْ لَمْ أَكُن مَّعَهُمْ شَهِيدًا﴾ أي حاضرا فـأصاب . وعن حذيفة رضي الله عنه قال : لقد رأيتنا ليلة الأحزاب , ونحن صافون قعودا , وأبو سفيان ومن معه من الأحزاب فوقنا , وقُرَيْظَة أسفل منا , نخافهم على ذرارينا. وما أتت علينا ليلة أشد ظلمة ولا أشد ريحا منها. فجعل المنافقون يستأذنون النبي صلى الله عليه وسلم ويقولون : إن بيتونا عورة وما هي بعور , فما يستأذن أحدهم منهم إلا أذن له .... الحديث. وبين الله تعالى شدة خوف المنافقين فقال ﴿يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ﴾ لِمَا في قلوبهم من الرعب , يخافون أن ينزل ما يبيح دمائهم.

ومن علامات المنافقين أنهم لا يرضون بالتحاكم إلى القرآن والسنة. كما رُوىَ أنه لما اختصم يهودي ومنافق , فدعا المنافق إلى كعب بن الأشرف , ليحكم بينهما ودعا اليهودي إلى النبي صلى الله عليه وسلم. فأتياه فقضى لليهودي. فلم يرض المنافق. فأتيا عمر فذكر له اليهودي ذلك , فقال للمنافق أكذلك ؟ قال : نعم . فقتله. فنزل قوله تعالى ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾. قال تعالى ﴿وَإِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ﴾.

ومن علاماتهم خُلف الوعد مع الله. قال الله تعالى ﴿ وَمِنْهُم مَّنْ عَـٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ بَخِلُوا۟ بِهِۦ وَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِى قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ بِمَآ أَخْلَفُوا۟ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴾ وقال تعالى ﴿ وَلَقَدْ كَانُوا۟ عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ ٱلْأَدْبَـٰرَ وَكَانَ عَهْدُ ٱللَّهِ مَسْـُٔولًا ﴾.

وفي الختام نقول لكم هؤلاء هم المنافقون وهذه هي صفاتهم وأخلاقهم التي استطعت أن أجمعها من القرآن. ويوجد غيرها في السنة , ولكن الوقت والإمكانات لا تساعد. وفي الجملة لا توجد صفة قبيحة ومشينة , أو أمر ليس من المروءة, إلا وهو فيهم لذلك لا تستغربوا إن سمعتم عن فضائحهم الأخلاقية أو انحطاطهم. فإن ذلك لا يُعد شيئا في جنب ما ذكرناه في السابق من الآيات والأحاديث.

إخواني الكرام إن المنافقين خرجوا علينا وحاربونا وأرادوا أن يستأصلوا شأفتنا واستخدموا ضدنا في هذه الحرب سلاح المكر والخديعة واللؤم والكذب , محاولة منهم في أن يخدعونا مرة بعد مرة , ولكن حبيبنا يقول (لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين) , وقال عمر : لست بِخَبٍّ ولا يخدعني الخب , أي لست بمخادع ولا يخدعني المخادع. لذلك فنحن تصدينا لهم , ورفعنا عليهم سيف الحق الذي هو القران والسنة ورفعناه عاليها فوق تلك الهامات. فضربناهم بسرعة وبقوة فتحطمت كل جمجمة عفنة تحمل البغض والكره لدين الله وسنه نبيه.

إخواني الكرام سامحوني على النقص الكبير في هذا الموضوع فإنه لا يوجد عندنا مراجع كافية. واسأل الله أن يجعل هذه الكلمة وسيلة للفوز بجنات النعيم. ورحم الله امرؤًا نظر بـِعَيْنَـيْ الإنصاف إليها , ووقف على أخطائي فأطلعني عليها.

وقد قال الأول :

حمدت الله ربي إذ هداني .. لِمَا أَبْدَيْتُ مَعْ عجزي وضعفي
فمن لي بالخطا فأرد عنه .. ومن لي بالقبولِ ولو بحرفِ

هذا لم يكن قط في خَـلَـدي أن أتعرض لذلك , لعلمي بالعجز عن الخوض في هذه المسالك. وعسى الله أن ينفع الله بها نفعا جَمّا ويفتح بها قلوبا غلفا , وأعينا عميا , وآذانا صُمّا , ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلا.

رزقنا الله بها هداية إلى الحق وتوفيقا , وجَعلنا بها مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء الصالحين وحسن أولئك رفيقا.

وهذا ما تم جمعه وإيراده وأعان القديرعلى كتابته.
وبهذا أنهي هذا الكتاب راجيا من الله القبول وأن يجعل ما كتبناه خالصا لوجهه الكريم. نافعا لعباده المسلمين والمجاهدين وأن يجعله من الزلفى إليه ويدخر الثواب لديّه يوم لانفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

وآخر دعوانا
أن الحمد لله رب العالمين
أخوكم أبوصالح الأنصاري

الفهرس

